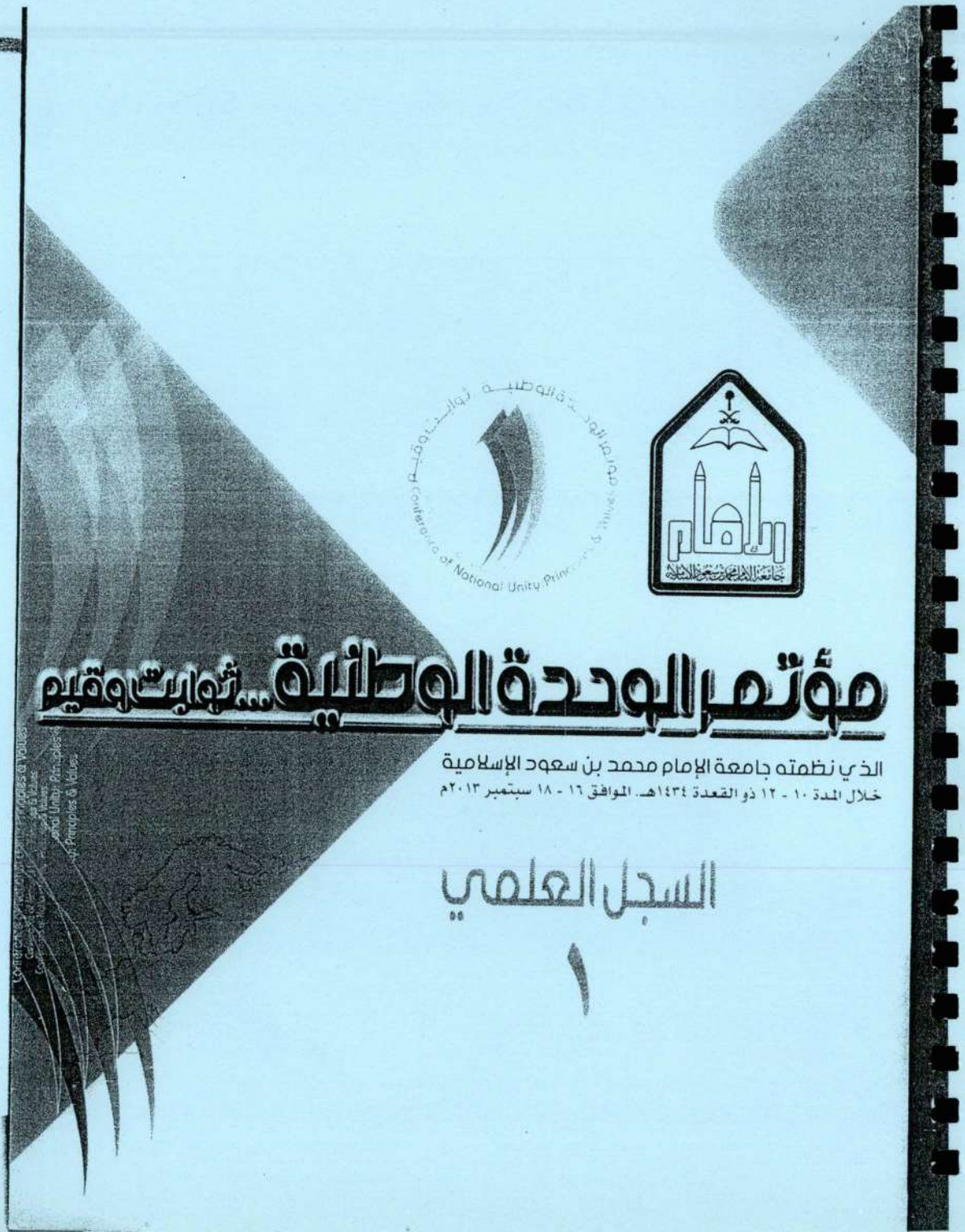

الوِحدَةُ الوَطَنِيَّةُ
فِي الشَّرِيعَةِ الإِسلامِيَّةِ

د. بدر آل عبدالقادر

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا أمة واحدة، وجمعنا على كلمة الحق، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي كمل الله به الدين، وأرسله رحمة للعالمين، فحث على الوحدة، ورغب في الجماعة، أما بعد:

فتعد الوحدة والجماعة من الأمور التي يتطلبها وجود الإنسان على الأرض، إذ ليس لها ارتباط بمكان أو زمان، أو دين ومذهب أو حتى مخلوق، ولذا فهي من الموضوعات المهمة، والمسالك الخطيرة التي ينبغي التعاطي معها بتيقظ، والأخذ بها بحذر، والتعامل معها وَفق المنهج الصحيح، فالوحدة أمر دعا إليه الإسلام وحث على فعلها، وأرشد إلى الاتصاف بها شريطة أن تكون وَفْقَ منهج وسطي معتدل يحفظ حقوقها، ويُسيِّرُ أمورها، ويأخذ بها إلى شاطئ الأمان.

ولمّا يَسر الله لي – بفضله وكرمه – المشاركة في مؤتمر (الوحدة الوطنية- ثوابت وقيم) رأيت أن أتخذ من موضوع " الوحدة الوطنية في الشريعة الإسلامية" " مادة للبحث مؤملاً أن أضيف إلى موضوعات المؤتمر شيئًا جديدًا ومفيدًا. وقد وقع اختياري على هذا الموضوع ليكون موضوعًا لبحثي هذا لبواعث عدة من أبرزها:

- أن موضوع الوحدة الوطنية يحتل موقعًا مركزيًّا في الفكر العالمي والثقافي بما يشكله من اعتبارات شخصية ذات علاقة بالإنسان والمجتمع والدولة.
- أن موضوع الوحدة الوطنية تأرجح زمنًا بين مؤيد ومعارض، ومصيب ومخطئ، فهو في بحر سجال لا ساحل له، ولا منتهى منه، كَثُر فيه اللغط والغلط دون حد وسطية أو اعتدال.

- كذلك لما رأيت من اعتقاد بعض المواطنين في أن الوحدة الوطنية فكرًا ومنهجًا يصادم الشريعة الإسلامية ويعارضها.

ذلك ما حفزني لاختيار هذا الموضوع ذي البُعد العقدي والاجتماعي والإنساني، الذي يُعد بحق من أقوى موضوعات العصر وأعظمها تأثيرًا في النفس الإنسانية.

وسلكت إلى قصدي طريقة المباحث فجاء البحث في مباحث ثلاثة، بدأتها بمقدمة أبرزت فيها أهمية الموضوع، والبواعث التي بعثت فيَّ الحماسة لاختياره.

ثم بدأت البحث في مبحثه الأول المعنون بـــ (تعريف الوحدة الوطنية) بتمهيد عن مصطلح الوحدة الوطنية ومكوناته، وكيف نشأ، وحقيقة المصطلحات الحديثة عند العلماء، وخلصت من خلاله إلى تعريف (الوحدة الوطنية) في اللغة والاصطلاح، وقد عَلَّقتُ على التعريفات بما خرجت به من رؤية حول التعريف من وجهة نظر الباحث.

أما المبحث الثاني فكان عنوانه (التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية) بدأته بتمهيد عن صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وتضمنها لمزايا وخصائص بما صلاح الفرد والمجتمع، وكذلك شموليتها في تعاليمها ومقاصدها، وقد خلصت من ذلك إلى أن الوحدة الوطنية من الأمور التي دعا إليها الإسلام، وقد بيَّنت ذلك من خلال تأصيل الوحدة الوطنية من القرآن الكريم، وقد جمعت فيه الآيات القرآنية التي تضمنت هذا المبدأ العظيم، ودعت إليه، مع ذكر أقوال المفسرين في معانيها، استئثارًا لا احتكارًا، ثم أصلَّت الوحدة الوطنية من السنة النبوية والآثار المروية عن الصحابة ي، وفيه جمعت الأحاديث الصحيحة عن الرسول غ وبخاصة التي تدل صراحة على أن حبَّ الوطن أمر مشروع في

الإسلام، وأن ذلك من مظاهر الوحدة الوطنية الصادقة، وقد عزَّزت قولي بما ذكره شُرَّاح السنة النبوية حول الأحاديث المذكورة.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن الآثار الإيجابية للوحدة الوطنية التي تعود على الفرد والمجتمع، وقد ارتضيت تقسيم الآثار إلى: آثار عَقَدِيَّة، وآثار فكرية، وآثار نفسية، وآثار اجتماعية، وآثار سلوكية. وتحدثت في قسمه الثاني عن الآثار السلبية لانعدام الوحدة الوطنية، وقد قسمتها إلى: آثار عقدية، وآثار فكرية، وآثار نفسية، وآثار اجتماعية، وآثار سلوكية، وقد وضحت ذلك بالدليل ما استطعت إليه سبيلا.

وفي الختام، ختمت البحث بخاتمة أبرزت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج، ثم تبعتها بثبت لمصادر البحث ومراجعه.

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج الوصفي، الذي يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: منهج الكتابة في الموضوع، واتبعت فيه الطريقة الآتية:

- جمع المادة العلمية وتوثيقها من مصادرها المتقدمة والمتأخرة.
- بعد أن أكملت جمع شواهد الوحدة الوطنية وأدلتها من القرآن الكريم، والسنة النبوية، تم تقييدها وترتيبها في مجموعات، ينتظم كل مجموعة موضوع واحد.
- قراءة الشواهد والأدلة، ودراستها دراسة دقيقة، تقوم على استقراء الشاهد، واستنطاقه واستشفاف دلالاته في حدود ألفاظه ومراميه، من غير تحميله فوق ما يحتمل، أو توجيهه وجهة معينة لا تنتظمها ألفاظه.
- بيان غامض الكلمات وشرحها في الهامش.

- التمهيد لكل مبحث بما يوضحه ويتلاءم مع موضوعه.
- الثاني: منهج التعليق والحواشي، وقصدت فيه المنهج الآتي:
- أعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك عقب الآية مباشرة.
- تخريج الأحاديث والآثار في الهامش بذكر الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث، مع الإشارة إلى اختلاف ألفاظ الحديث في الهامش.
- أعزو نصوص العلماء وآرائهم إلى كتبهم مباشرة، وإن لم تتوافر كتبهم عزوتها إلى مصادر أخرى أثبتتها.
- أثبت معلومات المصادر والمراجع التي نقلت منها كاملة في أول ورود لها في الهامش، ثم أكتفي بذكر المؤلف مع رقم الصفحة حين وروده مرة أخرى مع الإشارة إلى أنه سبق.
- اعتمدت في التوثيق الطريقة الأحدث في المناهج العلمية التي تبدأ بذكر المصدر أو المرجع، ثم اسم المؤلف، واسم المحقق إن وُجد، واسم الدار، ومكان الطباعة ورقم الطبعة، وتاريخها.
- ذكر كلمة (نقلا) في الهامش للدلالة على أن المصدر أو المرجع وسيط في النقل، وليس المصدر الأصلي للنص المنقول، وإذا ذكرت كلمة (انظر) فإن النص منقول بتصرف، قد يكون بالحذف أو الزيادة، وقد يكون نقلا بالمعنى.
- الثالث: ما يتعلق بالنواحي الشكلية والتنظيمية:
- أضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين، وفقًا للشكل: ﴿﴾.

- أضع الأحاديث النبوية والآثار، ونصوص العلماء والباحثين المنقولة بين علامتي تنصيص، وفقًا للشكل: "..." مسبوقة بنقطتين رأسيتين.
- ضبط الأحاديث والآثار والألفاظ الغامضة بالشكل التام.
- كتابة العبارات الدعائية بطريقة الرسم، وفقًا للشكل: ج-ا-: .
- وضع تسلسل رقمي خاص لهوامش كل مبحث على حدة تسهيلاً للقارئ في الوصول إلى التوثيق.

هذا وقد اعتمدت في دراستي لموضوع (الوحدة الوطنية في الشريعة الإسلامية) على مصادر قديمة، أمدَّتني بالمادة الرئيسة، وبالمواد المساعدة التي ساعَدَت في إظهار الصورة الحقيقة لهذا البحث، وقد اخترت ما كان محققًا تحقيقًا علميًّا، لأفيد من الجهود المخلصة التي أخرجته، وقد تحدثت عن المصادر في غير هذا المكان.

أما المراجع الحديثة، فلست أنكر أنني قرأت الكثير منها، فبعضها قرأته وطويته، ولم آخذ عنه شيئًا، وإن خرجت منه بأفكار عامة، وعرفت ما أجهلُ من مصادر هذا البحث، وبعضها نقلت عنه، ووقفت عند آراء أصحابه. هذا وقد حاولت تحري الدقة والموضوعية في إصدار الأحكام ما وسعني ذلك، مبتعدًا عن الارتجال والتسرع في ذلك التماسًا للصدق، وبحثًا عن المصداقية.

وفي نهاية المطاف فإنه من الحق أولاً، والواجب ثانيًا أن أتوجه بالشكر والتقدير – بعد شكر الله سبحانه وتعالى – إلى كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي أتاحت لي فرصة المشاركة في هذا المؤتمر الأنف المبارك.

وبعد: فإني قد بذلت الجهد الصادق في سبيل دراسة هذا الموضوع العقدي، والإنساني، والاجتماعي من جوانبه كافة، وتنقيته مما رانَ عليه، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، فإن أصبت فواجب هداني الله – سبحانه وتعالى – إلى إنجازه وإتمامه، وإن تعثرت فحسبي أني أخلصت النية، وبذلت الجهد، واستفرغت الوسع والطاقة، ونشدت الحق.

المبحث الأول

تعريف الوحدة الوطنية

تمهيد :

في ظل التقدم العلمي الذي تعيش فيه البشرية، والثورة المعرفية التي تجتاح العالم ظهرت مصطلحات ذات تأثير كبير في المفاهيم العامة للحياة، وفي القيم والأفكار خاصة، بعضها بفعل تقدم العلوم وتطورها، وأخرى بسبب الغزو الفكري، مما حدا الكثيرين إلى التوقف عندها، والتوجس منها.

وقد كان الفلاسفة والعلماء وأهل الاختصاص في السابق إذا تحدثوا عن قضايا معينة، أو قَعَّدوا لأمر ما فإنهم يستخدمون مصطلحات ذات علاقة تخدم غرضهم، وتؤيد فكرتهم دون تحديد لمفهومها، أو إيضاح حقيقتها، ولذا تصبح مع الزمن حقيقة ثابتة.

ومن المصطلحات التي ظهرت مصطلح (المواطن) الذي تعددت استخداماته ودلالاته حتى امتد إلى مفاهيم لا تمت لموضوعه الأساس، فظهر امتدادًا لتعددية استخداماته مصطلح (الوحدة الوطنية) الذي يعدُّ أبرز القضايا المهمة في تاريخ الإنسانية، ولذا ظل غامضًا في مفهومه ودلالته، وغائبًا عن كثير من العصور والمجتمعات، وزاده غموضًا حداثته في العصر الحديث، وتوجس الناس منه كلٌّ حسب مذهبه ورأيه، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : :" فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ نِزَاعِ النَّاسِ سَبَبُهُ أَلْفَاظٌ مُجْمَلَةٌ مُبْتَدَعَةٌ وَمَعَانٍ مُشْتَبِهَةٌ" [1] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ١٢/١١٤.

ولعل عناية العلماء حديثًا بتحديد المقصود من المفاهيم يرجع لأسباب منها:

- إن المفاهيم ليست مجرد كلمات تنطق تتناولها الألسنة، بل تحمل مضامين تؤثر بصورة أو بأخرى في سلوك البشر.
- إن المفاهيم تميز بين الأشياء وبعضها الآخر، بصورة أكثر تحديداً، فإذا تداخلت المفاهيم مع بعضها فسينعكس ذلك على تعامل من يتناول هذه المفاهيم في طرحه، وإبداء رأيه.
- لا بد أن نقتنع أن الأمر لا يخلو أحيانًا من سوء النية في تحديد بعض المفاهيم، فنحن مجتمع لنا رسالتنا الدينية المعروفة، ومعلوم أن الأفكار والقيم تؤثر بصورة أو بأخرى في السلوك وكل ذلك يرتبط بمفاهيم معينة. ولذلك في إطار التدفق المعلوماتي ومحاولة البعض الهيمنة على الآخر، فلا بد أن يكون لنا موقف محدد من كل ما يرد إلينا من مفاهيم.
- لوحظ في الفترة الأخيرة خلط وتداخل في تناول هذه المفاهيم، ولهذا ينبغي أن تُراجع المفاهيم، ويُعمل على تحديدها بدقة، وأن يُلتزم بهذا التحديد الذي يجب أن يتسم بالأصالة، و أن يكون نابعًا من جذور المجتمع ومن منطلقاته وأهدافه وثقافته في إطار من العلمية والاستفادة من تجارب الآخرين دون إفراط أو تفريط، وكل ذلك يتطلب مرونة في الفكر وسعة في الأفق حتى نستطيع تحقيق الأهداف المأمولة لمجتمعنا وبما يخدم الصالح العام [٢]

(٢) انظر: رؤية مواطن للوطن بين المواطنة والوطنية، د. خالد بن عبد الله بن دهيش، صحيفة الجزيرة، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرياض، العدد (١١٩٣٧). يوم السبت، ١٤٢٧/٢/٢٧ هـ : صفحة ٢٠.

والوحدة الوطنية بمفهومها الإسلامي وسيلة من وسائل تحقيق أهداف الشريعة الإسلامية في جانبها الاجتماعي، وركيزة أساس في حماية الأمة، وتحصين عقول أبنائها ضد التيارات الفكرية الهدامة، ولها أثرها في الإنسان وعلاقته بوطنه؛ لأنها تدعو إلى الحب والتعاطف، وتنبذ التطرف والكراهية، والإنسان بطبعه بحاجة إلى جماعة ينتمي إليها ويتحد معها ويتفاعل في أداء الحقوق والواجبات المنوطة به، والإنسان الواعي بذاته وبالآخر تكون نيته صادقة، وعلاقته بالآخرين إيجابية وفعالة، ولا يتحقق ذلك على المستوى الفعلي إلا من خلال الالتزام الجاد من قبل كل إنسان بتأدية دوره وتحمل مسؤوليته بصدق وإخلاص.

مفهوم الوحدة الوطنية :

مفهوم الوحدة الوطنية يتكون من كلمتين: (الوحدة و الوطنية) ومجموع الكلمتين يشكل هذا المفهوم.

تعريف الوحدة: في اللغة مصدر مصوغ على وزن اسم الهيئة (فِعْلة) الدال على التوحد، ويفهم من اسم الهيئة معنى التفرد والتوحد.[٣] أما الوِحدة [بكسرِ الواو] المستعملة اليوم فيُرادُ بها ضم الكثرة وجمعها في واحد، وتطلق على عدم التجزئة والانقسام.[٤] وفي الاصطلاح يرى الباحث أنها تعني اجتماع الشيء وتآلفه حتى يكون كالواحد في متانته، وقوة تماسكه.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ: ٣/ ٤٤٦ ،مادة (وحد).

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ: ٢/٢٢٦.

تعريف الوطنية: أما مفهوم الوطنية في اللغة فهو مشتق من كلمة (وطن) التي تعني المنزل والمحل الذي تقيم فيه. [٥] ثم أضيفت إليها ياء النسب (وطني) ثم أُلحقت بها تاء التأنيث فأصبحت (وطنية) .وفي الاصطلاح يختلف باختلاف عقيدة الباحث وثقافته الفكرية.

فمنهم من عرف الوطنية بأنها: " العاطفة التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلده"[٦]،وهذا تعريف مُخلّ كونه قصر الوطنية على العواطف فقط وهي شيء معنوي ، ولم يربطها بالأشياء المحسوسة كالعمل على رقي الوطن، والقيام بواجباته كما يجب، وهي أمور أساس للتعبير عن الوطنية الصادقة.

ومنهم من عرفها بأنها: " تقديس الوطن، بحيث يصير الحب فيه، والبغض لأجله، والقتال في سبيله، حتى يطغى على الدين، وتحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية"[٧] ، وهذا التعريف مردود على صاحبه فالوطنية ليست شيئًا مقدسًا وعقيدة يعادي من أجلها ويوالي، وهذا مخالف للنصوص الشرعية.[٨]، ومنهم من يرى أن الوطنية:" تعبير عن واجب الإنسان نحو وطنه"[٩]، وجاء مصطلح (تعبير) في التعريف السابق نكرةً ليشتمل على النوعين الحسي والمعنوي.

---

(٥) انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ١٣/ ٤٥١ ،مادة (وطن).

(٦) العرب ورسالتهم الإنسانية، علي الخربوطلي ، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى،١٩٦٠ م: صفحة ١٧ .

(٧) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، علي نفيع العليـــاني ، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـــ: صفحة٤١١ .

(٨) سيأتي مزيد تفصيل لذلك في التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية إن شاء الله صفحة ١٤ .

(٩) الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، عبد الله مبروك النجار ، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، دون تاريخ:صفحة ٨٦.

بينما عرفها الخولي بقوله:" الوطنية نسبة إلى الوطن، وهو مكان إقامة الإنسان، ومحل ولادته الذي عليه نشأ وبسمائه استظل وعلى أرضه درج"[١٠]، ومكمن القصور في التعريف أنه لغوي، وهو إلى تعريف الوطن أقرب. وعرفها الحقيل بقوله:" الوطنية هي تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة الروحية المتينة التي تشده إليه ... والوطنية الحقة لا تكون بالقول بقدر ما تكون بالفعل "[١١]. وعرفها النصار بقوله :" الوطنية" تشير إلى شعور الفرد بحبه لمجتمعه ووطنه، واعتزازه بالانتماء إليه، واستعداده للتضحية من أجله، وإقباله طواعية على المشاركة في أنشطة وإجراءات وأعمال تستهدف المصلحة العامة. بمعنى أن الوطنية شعور قلبي ووجداني يُترجم في المحبة والولاء والميل والاتجاه الإيجابي والدافعية الذاتية للعمل الخلاق الذي يستهدف رفعة الوطن" [١٢].

وجاء تعريف الوطنية في بعض المصطلحات القانونية الحديثة بأنها:" انتماء الإنسان إلى دولة معينة، يحمل جنسيتها، ويدين بالولاء لها " [١٣] وعرفتها الموسوعة العربية العالمية بأنها:" تعبير قومي يعني حبّ الشخص وإخلاصه

---

(١٠) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخـــولي ، دون ناشـــر، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٧ هـــ - ١٩٨٦ م: صفحة ١٤٥.

(١١) الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ،مطابع التقنية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٦ م: صفحة ٣٠ .

(١٢) قراءة في مفاهيم الوطنية، صالح بن عبد العزيز النصار ،الشركة السعودية للأبحاث والنشر، صحيفة الاقتصادية، الرياض، العدد (٥٤٠٠) يوم الأحد ،تاريخ ١٦ / ٤ / ١٤٢٨ هـــ :صفحة ٢٢

(١٣) الوحدة الوطنية، سليمان بن محمد الطماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م:صفحة ١٧ .

لوطنه"[١٤]. ويرى الزنيدي أنها:" تعني بحسب لفظها نزوعًا انتسابيًّا إلى المكان الذي يستوطنه الإنسان ...إلخ"[١٥]. وجاء تعريفها في الموسوعة الثقافية أنها:" حبّ الوطن والشعور بارتباط وانتماء عاطفي وطني"[١٦]، وباختلاف التعريفات السابقة في تعريف الوطنية إلا أنها تتفق في أن الوطنية تتضمن الولاء والانتماء والحب، وتختلف فيما بينها في كيفية تجسيد ذلك، ولذلك عرف الباحث الوطنية بقوله:" هي إيمان وسلوك يتجسدان في حياة المرء من خلال قيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام" وبهذا التعريف تكون الوطنية تحت مظلة الإسلام لا تطغى عليه، وتكون الحقوق المطلوب من الفرد تحقيقها مشروعة، وضمن إطار الدين لا إفراط ولا تفريط.

تعريف الوحدة الوطنية: أما مفهوم الوحدة الوطنية فقد اختلف فيه الباحثون، بسبب الاختلاف في الثقافات، والمكونات السياسية، والبيئية المعيش فيها، فالطماوي: يرى أن الوحدة الوطنية هي قيام رابطة قوية بين مواطني دولة معينة، تقوم على عناصر واضحة يحس بها الجميع ويؤمنون بها، ويستعدون للتضحية في الدفاع عنها.[١٧] ويرى الرفاعي وصاحبه: أنها تجمع كل المواطنين تحت راية واحدة من أجل تحقيق هدف سام هو فوق أي خلاف أو تحزب في

(١٤) الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ: ٢٧ / ١١٠ ، حرف الواو.

(١٥) مبدأ المواطنة في المجتمع السعودي، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة، شهر المحرم، ١٤٢٦هـ: صفحة ٣ .

(١٦) موسوعة ثقافة المرحلة الثانية الموجزة، صالح بن عبد الله العبيري، مطابع السلمان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م: صفحة: ٦٢٦.

(١٧) انظر: الوحدة الوطنية، سليمان محمد الطماوي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٧٤م: صفحة ١٧.

ظل ولاء أسمى يدين به كل فرد من أفراد المجتمع، ويحكم انتمائه للوطن، بحيث يجبُّ هذا الانتماء أي انتماء طائفي أو مذهبي[١٨]. وتعني عند خليفة: عدم وجود صراع محلي في المجتمع أو عدم وجود تفاعلات تتصف بالعنف [١٩].

وعند صادق تعني:"حاصل لإيرادات مجموعات بشرية مختلفة التراعات والغايات والمصالح، رأت أن في صالحها قيامها، وبناءً على ذلك فهي محصلة مجموع الإرادات المختلفة، وهى صورة حقيقية وصادقة لجميع الاتجاهات والأبعاد ... وقد جمعتهم الأرض الواحدة، وقام بينهم اقتناع شامل بإبعاد كل ما يعتري علاقاتهم من تناقضات وصراعات وانفعالات، ويعملون من أجل غاية واحدة" [٢٠].

بينما يذهب عمارة إلى أن:" الوحدة الوطنية هي التآلف بين أبناء الأمة الواحدة من خلال الروابط القومية على أساس من حقوق المواطنة التي ترفض التمييز والتفرقة بين أبناء الأمة بسبب المعتقد والدين"[٢١]. وأكد الكواكبي أنها:" تجمع الناس على أساس قومي بغض النظر عن الاختلاف في العقائد والمذاهب الدينية" [٢٢].

(١٨) انظر: الوحدة الوطنية في مصر عبر التاريخ، عبد العزيز الرفاعي وحسين عبد الواحد الشاعر، عالم الكتب،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م: صفحة ٤.

(١٩) انظر: أيديولوجية الصراع السياسي، عبد الرحمن خليفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م: صفحة ١٦٩ .

(٢٠) الوحدة الوطنية في قبرص، عادل محمد زكى صادق، رسالة دكتواره غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٠م: صفحة ١,١

(٢١) الإسلام والوحدة الوطنية، محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م: صفحة ٢٣

(٢٢) نقلا من: الإسلام والوحدة الوطنية، مرجع سابق: صفحة ٢٧.

ويرى بغدادي: أن الوحدة الوطنية هي وجود نوع من الاتفاق والوفاق على ثقافة وطنية مشتركة، وإطار من التفاعل السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين النظام السياسي والمواطنين. وعرفها بأنها: الظاهرة أو الواقعة الاجتماعية التي تتجسد في تفاعل وتواصل جميع أعضاء الجماعة الوطنية، أي جميع سكان الدولة من أجل تحقيق أهداف مشتركة تخدم مصالحهم جميعاً، دون أن يعني ذلك إلغاء الخصوصيات الفرعية لبعض أعضاء الجماعة الوطنية (عموم السكان) من جانب، وبما يميزهم ككل من جانب آخر عن غيرهم من الجماعات الوطنية الأخرى بسمات ثقافية معينة، بحيث لا تشكل تلك الخصوصيات الفرعية عائقاً أو مانعاً، أمام إظهار جميع أعضاء الجماعة الوطنية الواحدة، أي أبناء الوطن الواحد (أغلبية أو أقليات) في هوية ثقافية وطنية واحدة أو مشتركة، إزاء غيرهم من الجماعات الوطنية الأخرى، أي: أبناء الأوطان أو الدول الأخرى [٢٣].

ويعرف الباحث الوحدة الوطنية أنها تجسيد محبة الوطن من خلال التكاتف والتلاحم بين أبنائه، والتفاعل مع مناشطه، والحرص على تحقيق نموه وازدهاره.

(٢٣) انظر: الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، عبد السلام إبراهيم بغدادي، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م: صفحة ٢٩١ -٢٩٤ .

المبحث الثاني

التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية

تمهيد:

جاءت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وتضمنت مزايا وخصائص جعلتها تتميز بالسعة والمرونة والقدرة على مراعاة تغير أحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم، فنظمت الحياة تنظيمًا محكمًا، وسعت إلى هداية البشر بأحكام تتوافق مع مصالحهم، ومدت لهم طريق السعادة، لترفع من شأنهم ليفوزوا برضا الله ويتأهلوا لاستخلافه في الأرض.

فالدين الإسلامي يملك تصورًا واضحًا وكاملاً عن النفس البشرية، وهذا التصور بُني على أساس وحدة الانتماء الإنساني، فأحكامه الشرعية منوطة بعلل ومقاصد تهدف إلى صلاح الفرد والمجتمع، ولذا جاءت التربية الإسلامية متكاملة المنهج، واضحة التعاليم، مفهومة المقصد، تسعى إلى تحقيق السعادة للفرد في الدنيا والآخرة. وتنبثق التربية الإسلامية في تعاملها مع النفس البشرية من منطلق الإيمان السامي، الذي يملأ جوانب النفس البشرية بكل معاني الانتماء الصادق، والولاء الخالص.

ومن الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية الوحدة الوطنية التي تأخذ مداها في الشعور الفردي ولا تتجاوزه إلى المحذور، فتكون بعيدة عن الغلو والتفريط، وحذرة في تخاطبها وتعاملها، لا تتعارض مع الدين، أو تمس مبادئه، فيكون انتماء الفرد إلى وطنه داخلا في الانتماء الإسلامي، فلا يتجاوز ذلك إلى تقديسه وتقديمه على الدين، وتسخير المبادئ له، لأن ذلك خروج بالوحدة الوطنية من المعنى الصحيح إلى المعنى الفاسد.

ولأن الوحدة الوطنية أمر فطري جُبلت عليه النفوس، والقيام بها كاملة وَفقَ المنهج الإسلامي الصحيح فيه صلاح العباد والبلاد؛ جاء الحث عليها والدعوة إلى تطبيقاتها، والتوجيه إلى سلوكاتها في مصادر التشريع الإسلامي.

أولاً: من القرآن الكريم:

الوحدة الوطنية أمرٌ عُرف في الإسلام، بل إنه دعا إليها، على أن تكون تلك الوحدة في ضوء العقيدة الإسلامية، لا يُحاد عنها، ولا تُنتهك بدعوى العصبية الممقوتة. فالإسلام لم يتنكّر للفطرةِ البشرية، ولم يحارب الطباع السَّليمة، وهذا يعني أنَّ الوحدة الوطنية من منطلق إسلامي صحيحة متأصلة في النفوس، وكامنة في القلوب.

ولـــمَّا كانت الوحدة الوطنية الصالحة لا تتعارض مع الدين جاء الترغيب فيها والحثُّ عليها في مصادر التشريع الإسلامي ، ففي القرآن الكريم دعا الإسلام إلى الوحدة الوطنية الصحيحة من خلال كثير من الآيات التي تحث صراحة ووجوبًا على هذه القيمة العظمى.

وحين كان من مقومات العيش الكريم، وضرورات حصول التطور والرقي، وحيازة القوة والتمكين، الاستقرارُ والاتحادُ بكل أنواعهما، ومجالاتهما السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى كل ما يؤدي إليهما، فمن تشريعات الإسلام لحصول الوحدة الوطنية الأمر باجتماع الكلمة، والنهي عن الاختلاف والفرقة؛ لأنه يؤدي إلى الاحتراب والاقتتال، فتحصل الفرقة والشتات، فقد دلَّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠. على مبدأ التآخي بين المسلمين أجمعين؛ لما لهذا التآخي من عظيم الأثر في وحدتهم، وتعاونهم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

آل عمران: ١٠٣ أمرٌ بالاعتصام بحبل الله، ولن يتم ذلك إلا باتحاد المسلمين وتكاتفهم وفق الكتاب والسنة، لأن في ذلك صلاح أحوال الناس، واستقامة دينهم ودنياهم، وقطع كل الطرق التي تؤدي إلى الفوضى والاضطراب.يقول ابن كثير /:"وقوله:" وَلا تَفَرَّقُوا" أمَرَهُم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة ... وقد ضُمِنتْ لهم العِصْمةُ، عند اتفاقهم، من الخطأ"(١). ويقول الطبري/:" قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"(٢). ويقول ابن عاشور / :" ثَنَّى أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدّين وعدم التَّفرّق ليكتسبوا باتّحادهم قوّة ونماء"(٣) . لذا فإن الخضوع لمحاولات أهل الأفكار المنحرفة، والدعوات الضالة، التي تسبب الفرقة والفتنة، وتصديع الوحدة أمرٌ محرمٌ شرعًا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية /: " وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يُتفرّق؛ هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة "(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٤٠١ هـــ:٢/٨٩، ٩٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير جعفر الطبري، تحقيق. أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠ م:٧/٧٠.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ هـــ:٣/٢٥٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، مصدر سابق: ٢٢/٣٥٩.

ومما يؤكد أهمية الوحدة الوطنية أن الدعوة إلى الاتحاد، وحرمةُ الفرقة والنزاع جاءت في شرع من قبلنا وفي شرعنا، وهي وصيةُ الله لأولى العزم من الرسل، قال تعالى:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[الشورى : ١٣].

قال ابنُ كثير /:" ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ أي: وصَّى الله تعالى جميعَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف"(٥). ويقول ابن عاشور / :" والتفرق: ضد التجمع، وأصله : تباعد الذوات، أي: اتساع المسافة بينها، ويستعار كثيراً لقُوّة الاختلاف في الأحوال والآراء كما هنا، وهو يشمل التفرق بين الأمة بالإيمان بالرّسول، والكفر به، أي: لا تختلفوا على أنبيائكم، ويشمل التفرق بين الذين آمنوا بأن يكونوا نِحَلاً وأحزاباً، وذلك اختلاف الأمة في أمور دينها، أي: في أصوله وقواعده ومقاصده، فإن الاختلاف في الأصول يفضي إلى تعطيل بعضها فينخرم بعض أساس الدّين. والمراد: ولا تتفرقوا في إقامته بأن ينشط بعضهم لإقامته ويتخاذل البعض، إذ بدون الاتفاق على إقامة الدّين يضطرب أمره. ووجه ذلك أن تأثير النفوس إذا اتفقت يَتوارد على قصد واحد فيقوَى ذلك التأثير ويسرع في حصول الأثر إذ يصير كل فرد من الأمة مُعيناً للآخر فيسهل مقصدهم من إقامة دينهم. أما إذا حصل التفرق والاختلاف فذلك مُفضٍ إلى ضياع أمور الدّين في خلال ذلك الاختلاف، ثم هو لا يلبث أن يُلقِيَ بالأمة إلى العداوة بينها

(٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، مصدر سابق: ١٩٥/٧.

وقد يجرّهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائرَ"(٦). وذكر الطبري / قول قتادة ت:" قوله ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة"(٧).

وفي قوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال: ٤٦]. نهيٌ عن كل ما يؤديَ إلى زعزعة الوحدة الوطنية من تنازع واختلاف مما يذهب وحدةِ المسلمين وقوتهم. وإذا عُرف شأن وحدة الكلمة في الشريعة، والنهي عن الفرقة، فإن من كمال العقل، ووضوح الفهم، عدم الانسياق وراء من يريد تصديع الوحدة الوطنية، ولذا جاء الإرشاد الرباني القرآني أثبت وأنفع للناس، فوحدة الكلمة سبب كل خير، كما أن افتراقها سبب كل شر، ولا سيما مع كثرة المتربصين، وتسارع الأحداث، وتوتر الأوضاع العالمية.

يقول ابن عاشور /:" والنهي عن التنازع أعّم من الأمر بالطاعة لوُلاَة الأمور؛ لأنّهم إذا نهوا عن التنازع بينهم، فالتنازع مع ولي الأمر أَوْلَى بالنهي، ولّما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسَطَ القرآن القولَ فيه ببيان سيء آثاره"(٨). وقال البيضاوي /: "والريح مستعارةٌ للدولة من حيث إنها في تمشي أمرِها، ونفاذه مشبهةٌ بها في هبوبها ونفوذها"(٩). ولذلك فإن مِن أعظم ما نهى الله ــ عنه ونهى عنه رسولهﷺ الفرقةُ والاختلاف.

(٦) التحرير والتنوير، مصدر سابق: ١٧٢/١٣، ١٧٣.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق: ٥١٣/٢١.

(٨) التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٢٤٢/٦.

(٩) أنوار التنزيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، أبو سعيد عبد الله البيضاوي،طبعه ألمانيا، ١٨٤٧م: ١١٢/٣.

ولأهمية الوحدة الوطنية، ولأن من أعظمِ غاياتِ الشريعةِ الإسلاميّة الكثيرة اجتماعَ الكلمة وألفَة القلوب بين المسلمين، أكد الإسلام أن التفرق والخصام والشقاق طريق العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ولأنّه باجتماع الكلمة وألفةِ القلوب تتحقّقُ مصالح الدّين والدنيا، ويتحقّق التناصرُ والتعاون والتعاضُد، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

ولأهمية الوحدة والتناصر في الدين والمعاملات ذم الله ــ المشركين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٩]. يقول ابن عاشور / :" ووصف المشركين بأنّهم فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً، يؤذن بأنّه وصف شنيع، إذ ما وصفهم الله به إلاّ في سياق الذم، فيؤذن ذلك بأنّ الله يحذّر المسلمين من أن يكونوا في دينهم كما كان المشركون في دينهم"(١٠). ولذا برأ الله تعالى نبيه ﷺ ممن فرقوا دينهم فاختلفت كلمتهم؛ فصاروا شيعًا متناثرة، وأحزابًا متناحرة، ونهانا الله تعالى أن نسلك مسلكهم لئلا تفترق قلوبنا، قال تعالى: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

(١٠) التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٥/٢٨٤. وانظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، مصدر سابق: ٣/٣٧٧. وجامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق: ١٢/٢٦٨-٢٧٠.

ومن مظاهر الوحدة الوطنية أن الله ــ أمرنا في كل وقت، وعلى أية حال بالرجوع إلى الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]. يقول ابن عاشور /:" ولمّا أمر الله بطاعة أولي الأمر علمنا أنّ أولي الأمر في نظر الشريعة طائفة معيّنة، وهم قدوة الأمّة وأمناؤها، فعلمنا أنّ تلك الصفة تثبت لهم بطرق شرعية، إذ أمور الإسلام لا تخرج عن الدائرة الشرعية، وطريق ثبوت هذه الصفة لهم إمّا الولاية المسندة إليهم من الخليفة ونحوه، أو من جماعات المسلمين إذا لم يكن لهم سلطان، وإمّا صفات الكمال التي تجعلهم محلّ اقتداء الأمّة بهم وهي الإسلام والعلم والعدالة"(١١).

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على الوحدة الوطنية المنبثقة عن الوحدة الإسلامية، كالحديث عن جماعة المسلمين، أو أمة الإسلام الواحدة التي يجمعهم دين واحد، وعقيدة واحدة، وغير ذلك مما يفهم منه الاجتماع والتكاتف، وهما الجامع الذي يلتف حوله المسلمين جميعًا، ويتوحدون على أساسه ويشكلون أمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وتبرز مظاهر الوحدة الوطنية من خلال عناية الإسلام بأبناء الوطن قبل غيرهم في أمور الخير كالنصح والإرشاد، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأَنْذِرْ

(١١) التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٤/٢٨.

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] . ومن مظاهر الحث على الوحدة الوطنية الصادقة في القرآن الكريم بيان أن القتال وإرخاص النفوس دون الفرقة والتشتت سبب مشروع، يقول الله ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾ {البقرة:٢٤٦} . فطلبهم القتال دليل على حبهم لوطنهم، وخوفهم من الفرقة والتشتت، فجعل الإخراج من الديار والأوطان سببًا مسوغًا لمشروعية القتال والدفاع عن الوطن.

كما أن شدة تعلق النفس بوطنها وارتباطها به دليل صادق على وجوب الوحدة الوطنية، وقد اقترن ذلك في القرآن بحب النفس، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء:٦٦] . فالآية تصور ظاهرة الارتباط بالوطن والتمسك بالوحدة الوطنية بوضوح، فالخروج من الديار مكافئ لقتل النفس، والمشقّة في الصورتين ظاهرة فقتْل النفس والخروج من الدِّيار أمران عزيزان على النفس في إشارة واضحة إلى أن الوطن قرين النفس، وقريب من الروح؛ لأن الإنسان لا يخرج من وطنه إلا مضطرًا. يقول أبو حيّان :: "في الآية دليل على صعوبة الخروج من الديار، إذ قرنه الله تعالى بقتل الأنفس" (١٢).

ومن التأصيل الشرعي للوحدة الوطنية في القرآن الكريم، الدعوة إلى حب الوطن، وهو من أخطر المظاهر وأدقها مسلكًا؛ لأنه لا يتولد في النفس إلا باعتبارات يؤمن بها الفرد ويعتقدها في ذاته، كما أن حبَّ الوطن أمرٌ عُرف في

(١٢) البحر المحيط (تفسير أبي حيان) ، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض،وشارك في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النحولي الجمل، دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م: ٣/ ٢٩٧.

الإسلام، ودعا إليه و لم يعارضه شريطة أن تكون تلك المحبة، وذلك الانتماء في ضوء العقيدة الإسلامية، ففي القرآن الكريم إشارات كثيرة، تدل على مشروعية هذا الحب وضروريته، فحين كان الإخراج من الوطن، وحرمان الإنسان منه عقوبة شديدة؛ استخدمه المشركون في حربهم مع أنبيائهم ‡ فما أن يعلن نبي دعوته لقومه، إلا ويقوموا بإخراجه من بلده، وإبعاده عن موطنه، ولذلك وعد الله ﷻ الأنبياء ‡ بأن يردّهم إلى أوطانهم ويسكنهم الديار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ ، ١٤].

وقد هَدَّد قوم لوط نبيهم لوطًا عليه السلام بالإخراج من الوطن، والإبعاد عنه؛ لارتباط نفسه به، وإدراكهم صعوبة ذلك عليه، قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٧].وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ...﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:٨٨].

وتتجلى قيمة الوحدة الوطنية وحب الوطن والعلوق به عند فرعون حين كان المُسوغ عند قوم فرعون لمحاربة موسى عليه السلام هو خوفهم منه؛ لئلا يخرجهم من ديارهم، ويبعدهم عن أوطانهم، ويفرق شملهم، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ {الأعراف:١٠٩-١١٠} . وقال ﷻ في سورة أخرى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

﴿ ﴿٣٥﴾ ﴾ {الشعراء:٣٤-٣٥} .وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ {طه:٦٣} . ويبرز حرص فرعون نفسه على وحدة وطنه حين خاطب موسى عليه السلام قائلاً: ما جئت إلا لتحرمنا من وطننا، وتخرجنا من أرضنا، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ {طه:٥٧} .وقال تعالى : ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[الأعراف : ١٢٣].

يقول الشافعي ::" اعلم أن فرعون لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى عليه السلام عند اجتماع الخلق العظيم، خاف أن يصير ذلك حجة قوية عند قومه على صحة نبوة موسى عليه السلام فألقى في الحال نوعين من الشبهة إلى أسماع العوام؛ لتصير تلك الشبهة مانعة للقوم من اعتقاد صحة نبوة موسى عليه السلام. فالشبهة الأولى: قوله : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ والمعنى أن إيمان هؤلاء بموسى عليه السلام ليس لقوة الدليل، بل لأجل أنهم تواطؤوا مع موسى أنه إذا كان كذا وكذا فنحن نؤمن بك ونقر بنبوتك، فهذا الإيمان إنما حصل بهذا الطريق.

والشبهة الثانية: أن غرض موسى والسحرة فيما تواطؤوا عليه إخراج القوم من المدينة، وإبطال ملكهم، ومعلوم عند جميع العقلاء أن مفارقة الوطن والنعمة

المألوفة من أصعب الأمور، فجمع فرعون اللعين بين الشبهتين اللتين لا يوجد أقوى منهما في هذا الباب" (١٣).

ولأنَّ طبيعة النفس الشريفة هي الحرص على وحدة الصف، وحبُّ الوطن والتعلق به، دعا الله ﷻ إلى عدم الخروج من الديار بطرًا ورئاء الناس، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ {الأنفال:٤٧} .

ومن شواهد الوحدة الوطنية الصادقة في القرآن أن الله ﷻ قرن حبَّ الأوطان بحبِّ الدين والدفاع عنه، والجمع بينهما دليل على تقارب مكانة كل منهما في الإسلام وفي النفس البشرية، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[الممتحنة:٨] . وفي ذلك دلالة أكيدة على قرب الوطن من النفس، وأن استشعار ذلك من الإيمان، كما نأخذ من الآية الكريمة مظهرًا من مظاهر المواطنة الصادقة، وهو الدعوة إلى المعاملة الحسنة مع أبناء الوطن من غير المسلمين إذا لم يظهر منهم عداوة، أو خطر على الدين والوحدة الوطنية.

وتبرز أهمية الوحدة، وتتضح مكانة الوطن حين نهى الله ﷻ عن قتل النفس، وعن جريمة لا تقل بشاعة وهي الخروج من الدار، ومفارقة الوطن، حتى إنه ﷻ أخذ ميثاقه على عباده في ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ {البقرة:٨٤}.

(١٣) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١٤/ ١٦٨، ١٦٩ .

وتَظهرُ مكانة الوحدة الوطنية، وأهمية الوطن عند الخالق ﷻ حينما يعاقب الكافرين في الحياة الدنيا بأن يخرجهم من أوطانهم، ويشردهم عن ديارهم، ويشتِّت شملهم؛ لأن من أشد أنواع العقاب خروج الإنسان من وطنه مشردًا مُرغمًا عقابًا له على ما ارتكب من ذنب في حقِّ الله ﷻ ولولا أنه ﷻ كتب عليهم الخروج من ديارهم، ومفارقة مساكنهم، لعذّبهم في الحياة الدنيا، فكأن الخروج من الديار ومفارقة المساكن هو العذاب الشديد عليهم، بدلاً من العذاب المستأصل لهم ، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾ {الحشر:٢}. فجعل الخروج من الوطن عقوبة دنيوية لهم؛ لما في الغربة من صعوبة وشدة على النفس، لارتباطها بالوطن والدار.

ثانيًا: من السنة النبوية والآثار المروية:

في السنة النبوية دلائل كثيرة تؤكد أن الوحدة الوطنية أمر مشروع جُبل عليه الإنسان، ويتجسد ذلك في حبه لوطنه، وقيامه بحقوقه، ولذا كان من أجلّ مقاصد الشريعة، وأوضحها في الأحكام المفصلة تحقيقُ وحدة الكلمة، وائتلاف القلوب، ويكاد يشمل ذلك كل أبواب الشريعة في العبادات والمعاملات والآداب، كالأمر بتسوية الصفوف في صلاة الجماعة، كقوله: :" لَتُسَوُّنَّ

صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ"[١٤]. وهذا مقصد لوحدة الكلمة والجماعة.

كذلك الحكمة من مشروعية الزكاة، فهي من الأغنياء للفقراء؛ لإزالة ما في قلوبهم من الانكسار، والحيلولة بينها وبين الأحقاد؛ حفظًا لوحدة الكلمة، واجتماع الشمل.وفي صيام المسلمين كلهم في شهر واحد، وما يكون في هذا الشهر الكريم من الترابط والتكاتف؛ بعطف الأغنياء على الفقراء، ثم اجتماعهم لأداء صلاة التراويح، ولصلاة العيد بعد انقضاء الشهر العظيم،أيضا يجوع الغني ليفطن لجوع الفقير فيطعمه، فيتطهر قلبه من الضغينة على أخيه الموسر .

وفي الحج ما يكون من اجتماع عدد كبير من المسلمين، في موسم الحج لأداء هذه الفريضة جماعة، في منظر مهيب عجيب، تلتقي أجناس شتى لا يجمعها شيء سوى الوحدة على كلمة التوحيد. وفي كل العبادات والشعائر لا تمايز ولا افتراق، بل القبلة واحدة، والشعائر واحدة، والمشاعر واحدة؛ لتكون الأمة أمة واحدة، وهذا أدعى لوحدة الكلمة، وأقوى في تمكنها.

وفي أبواب معاملة الناس بعضهم مع بعض قُضي في الشريعة على كل ما يكون سببًا لتصديع الوحدة، وافتراق الكلمة من الربا والرشوة والنجش والغش في المعاملات. ونُهي عن سوء الأخلاق، وفحش الكلام، والإساءة إلى الناس، ولا يحل أن يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته؛ لئلا يوغر قلبه،

(١٤) صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ١٢٨/٢، رقم الحديث: ٧١٧ . و صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ: ٣١/٢ ، رقم الحديث: ١٠٠٦.

ويفسد وده، فتفترق كلمتهما، وأُمر بكل ما يؤدي إلى المحبة والألفة من السماحة والعفو والبشاشة وطيب الكلام، وبذل السلام، والإحسان إلى الغير.

ومما يؤكد أهمية الوحدة الوطنية ما جاء في تشريعات الإسلام لإدامة الاستقرار، وهو الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن شق عصا الطاعة، فإن النبي ﷺ لما أخبر عن زمن استحكام الفتن، وكثرة الدعاة إلى جهنم، سأله حذيفة ت عما يفعل إن أدركه ذلك، فقال ﷺ :"تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"(١٥). يقول ابن حجر/"قَالَ ابْن بَطَّال/: فيه حُجَّة لِجَمَاعَة الْفُقَهَاء فِي وُجُوب لُزُوم جَمَاعَة الْمُسْلِمِينَ... وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِلُزُومِ الْجَمَاعَة. وقَالَ الطَّبَرِيُّ /: اُخْتُلِفَ فِي هَذَا الْأَمْر وَفِي الْجَمَاعَة ، فَقَالَ قَوْم : هُوَ لِلْوُجُوبِ وَالْجَمَاعَة السَّوَاد الْأَعْظَم ...وَقَالَ قَوْم: الْمُرَاد بِالْجَمَاعَةِ الصَّحَابَة دُونَ مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَقَالَ قَوْم : الْمُرَاد بِهِمْ أَهْل الْعِلْم لِأَنَّ اللَّه جَعَلَهُمْ حُجَّة عَلَى الْخَلْق وَالنَّاس تَبَع لَهُمْ فِي أَمْر الدِّين . قَالَ الطَّبَرِيُّ /: وَالصَّوَاب أَنَّ الْمُرَاد مِنْ الْخَبَر لُزُوم الْجَمَاعَة الَّذِينَ فِي طَاعَة مَنْ اِجْتَمَعُوا عَلَى تَأْمِيره ، فَمَنْ نَكَثَ بَيْعَتَهُ خَرَجَ عَنْ الْجَمَاعَة"(١٦).وقال الإمام النووي /"وفي حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين، وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق، وعمل المعاصي، مِنْ أخذ الأموال، وغير ذلك،

(١٥) صحيح البخاري، مصدر سابق:١٣٦/٩. رقم الحديث:٣٦٠٦. وصحيح مسلم، مصدر سابق:٢٠/٦. رقم الحديث:٤٨٩٠.

(١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ:٨٩/٢٠.

فتجب طاعته في غير معصية، وفيه معجزات لرسول الل ه ﷺ وهي هذه الأمور التي أخبر بها ، وقد وقعت كلها"(١٧).

ومما يؤكد أهمية الوحدة الوطنية قوله ﷺ:"إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"(١٨).قال النووي/:"وأما قوله ﷺ:" وَلاَ تَفَرَّقُوا " فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام"(١٩).

ومما يؤكد حرص النبي ﷺ على وحدة الكلمة، وإزالة ما قد يعلق في القلوب فيؤثر عليها، ما حصل في إحدى الغزوات، في حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ م قال:" كُنَّا فِي غَزَاةٍ، قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ"(٢٠).

(١٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ:٢٣٧/١٢.

(١٨) صحيح مسلم، مصدر سابق:١٣٠/٥. رقم الحديث:٤٥٧٨.و مسند الإمام أحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية،١٤١١ هـ: ٧٨/١٤.رقم الحديث: ٨٣٣٤.

(١٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق: ١١/١٢.

(٢٠) صحيح البخاري، مصدر سابق: ٢٢٤/١٢. رقم الحديث:٤٩٠٥. وصحيح مسلم، مصدر سابق: ١٩/٨. رقم الحديث:٦٧٤٨ .

يقول الشيخ بكر بن زيد /:"وهذه التعددات القبلية والعصبيات الجاهلية كانت من أولويات الإسلام الذي سعى في علاجها، وفي توفير المناخ الملائم لنشأتها نشأة جديدة، حيث سعى ﷺ بنقلها إلى وحدة الدولة الإسلامية، تحت لواء الإسلام، عليه يعقد الولاء و البراء ، وتحت سلطة شرعية عامة واحدة، ذات شوكة و منعة، تعقد لها البيعة، ويدان لها بالسمع و الطاعة، فلا يجوز لمسلم أن يبيت ليلته إلا وفي رقبته البيعة لها. وعليه ذابت تلك الروابط، و تصدعت العصبية القبلية، وسدَّ النبي ﷺ المنافذ الموصلة إليها، وبقي الرابط الوثيق لواء التوحيد، فعليه يُعقد الولاء والبراء، والتعاون، والإخاء...وهكذا كلما بدا مظهر من مظاهر التحزب والعصبية كبته النبي ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى، ولا حزبية ولا طائفية، كل مسلم يحتضن كل الإسلام، ويحتضن جميع المسلمين"(٢١).

ولما قسم ﷺ مالاً بين المهاجرين ووجد الأنصار في أنفسهم شيئًا جمعهم وخطب فيهم قائلاً: "يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي،وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِي"(٢٢)، فأقروا له بذلك.ولا شك أن كل هذه الإرشادات النبوية هي لأجل المحافظة على الوحدة الوطنية، والقضاء على الفرقة.

(٢١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ: صفحة ٢١.

(٢٢) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٣/١٠٨. رقم الحديث:٢٤٩٣.وصحيح البخاري، مصدر سابق: ١٠/٣٩٤. رقم الحديث: ٤٣٣٠.باختلاف في اللفظ.

وحين كانت وحدة الكلمة سبب في حصول الوحدة الوطنية جاء التحذير شديدًا في قوله ﷺ:"لاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ"(٢٣). وقوله :" عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ،وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ"(٢٤).ولذا قال عبد الله بن مسعود ت:" يا أيها الناس: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"(٢٥).

وقد جاء في السنة المطهرة كثير من المعاني العظيمة التي تبرز وحدة المسلمين وتماسكهم، وأنهم كالجسد الواحد في مواجهة الصعاب، وتحمل الأعباء، والتعاون على البر والتقوى في السراء والضراء، منها قول ﷺ :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢٦). وقوله ﷺ في الحديث الآخر حاثًا على التآزر والتناصر:" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا "(٢٧).يقول النووي/:" هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"(٢٨).

(٢٣) صحيح مبسلم، مصدر سابق: ٢/٣٠. رقم الحديث:١٠٠٠.

(٢٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م: ٤/٤٥٦.رقم الحديث:٢١٦٥.

(٢٥) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، العراق- الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٣م:٩/١٨٩.

(٢٦) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٨/٢٠. رقم الحديث:٦٧٥١.

(٢٧) صحيح البخاري، مصدر سابق: ٦/٢٣٣. رقم الحديث:٢٤٤٦.

(٢٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق: ١٦/١٣٩.

وفي قوله ﷺ:" وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ..."[٢٩]. قَالَ ابْن بَطَّال /:" فِي الْحَدِيث حُجَّة فِي تَرْك الْخُرُوج عَلَى السُّلْطَان..."[٣٠]. وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ / :"مُقْتَضَى الْأَمْر بِلُزُومِ الْجَمَاعَة أَنَّهُ يَلْزَم الْمُكَلَّف مُتَابَعَة مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُجْتَهِدُونَ"[٣١]. وللعلماء كلامٌ طويل عن معنى الجماعة الواردة في الأحاديث، لعلّ أوجهها ما أشار إليه الإمام الشاطبي /بقوله: " وحاصله: أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة؛ خارجٌ عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة"[٣٢].

وهذه المعاني العظيمة واجبة في كلِّ وقتٍ على المسلم، ولكنّها متأكّدة الوجوب في أوقاتِ الشدائد والأزمات والفتن، حفاظاً على وحدة المسلمين وحراسة للملّة والدين؛ لأنّ اجتماع الكلمة قوّةُ المسلمين، واختلافُ الكلمة ضعفُ المسلمين، ولذا أمر النبي ﷺ بلزوم إمام المسلمين وجماعتهم،فقال:" مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[٣٣].

(٢٩) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ٤٠٦/٢٨. رقم الحديث: ١٧١٧٠.

(٣٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٥٨/٢٠.

(٣١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٤٠٩/٢٠.

(٣٢) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م: ٢٦٥/٢.

(٣٣) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٢٢/٢. رقم الحديث: ٤٨٩٩.

و" سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِي ت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ:" اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"[٣٤].

والمعنى: أنّ الطاعة للأمراء وولاة الأمر واجبة؛ حتى لا تتصدع الوحدة الوطنية، ولولاة الأمر في الإسلام مكانة كبيرة، ومنزلة عالية، فهم يتولون تنفيذ أوامر الله ﷻ بما أنزل الله، وفيه تتوافر مسؤولية ضبط عيش العباد، وتنظيم نشاطهم، وحماية أمنهم، لذا وجب أن يُعطى من التقدير والإجلال ما يعينه على حفظ مكانة الدين، والقيام بحقوق أهله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩] . وكذلك حفظ حقوقهم، والدعاء لهم، وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، والذب عنهم، قال الفضيل بن عياض ::" لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد "[٣٥]. وكذلك طاعته فيما يأمر به، مالم يأمر بمعصية الله ﷻ امتثالاً لقول الرسول ﷺ :" مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ

(٣٤) صحيح مسلم، مصدر سابق: ١٩/٦. رقم الحديث: ٤٨٨٨.

(٣٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.: ٩١/٨.

عَصَانِي "[٣٦] .وقوله ﷺ :"تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ "[٣٧].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ا قال: " دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ غ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ:" إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ "[٣٨]. وعن أبي ذَرٍّ ا قَالَ:" إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ [٣٩] الأَطْرَافِ"[٤٠].

ومن مظاهر الوحدة الوطنية حب الوطن والاشتياق إليه، وذلك أن النبي ﷺ اشتاق إلى وطنه بالسؤال عنه، وتلمس أخباره، فحين قدم أُصَيْل الغفاري ا من مكة سألته عائشة ﵂ :" كيف تركتَ مكة ؟" فقال:" تَرَكتُها وقد أَخْصَبَ جَنَابُها، وابْيَضَّت بطحَاؤُها، وأَغْدَقَ إذخِرها، وأسْلَتَ ثمامُها، وأبْشَر سِلمُها ". فاغرورقت عيناه ﷺ وقال:" حَسْبُك يا أُصَيل لا تُحْزنا" [٤١] . وفي

(٣٦) صحيح البخاري، مصدر سابق : ١٠/ ٤٥٨ . رقم الحديث :٢٩٥٧.و صحيح مسلم، مصدر سابق : ٢٣٦/١٢ . رقم الحديث :٤٨٥٢.

(٣٧) صحيح مسلم، مصدر سابق : ٢٨٠/١٢ . رقم الحديث :٤٨٩١.

(٣٨) صحيح البخاري، مصدر سابق : ٦/ ٨٥٥ . رقم الحديث : ٦٦٤٧.و صحيح مسلم، مصدر سابق : ١٦/٦ . رقم الحديث :٤٨٧٧.

(٣٩) أي: مقطوع الأطراف. انظر: لسان العرب، مصدر سابق:٤١/٨. مادة (جدع).

(٤٠) صحيح مسلم، مصدر سابق:١٤/٦. رقم الحديث:٤٨٦١.

(٤١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١ هـ: ٢٢٨/٤ .

رواية أخرى أشار إليها ابن حجر : قال : قدم أُصَيْل الهذلي ... ، فقال له النبي ﷺ :"وَيْهًا يا أُصيل، دَعِ القُلوبَ تَقِرُّ" [٤٢].

وقريب من ذلك حين قدم إبان بن سعيد ا المدينة، فسأله الرسول ﷺ عن مكة كيف تركها، فقال: "تركتُهم وقد حَيَّدوا، وتَرَكتُ الإذْخِر وقد أَغْدَقَ، وتَرَكتُ الثَّمَامَ وقَد خَاضَ".فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ بالدموع حبًّا لمكة، وحنينًا إليها.[٤٣] ، يقول السُهيلي:: "وفي هذا الخبر وما ذُكر من حنينهم إلى مكة، ما جُبلت عليه النفوس من حبِّ الوطن والحنين إليه" [٤٤].

ومن أمارات المواطنة الصادقة ما جاء عن عَلِي ا قالَ: " لَـمَّا قَدمنَا المَدينة أَصَبنا مِنْ ثمارِهَا فَاجتويناهَا، وَأَصابَنا بِها وَعْكٌ وَكان النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ [٤٥] عَنْ بَدْرٍ...إلخ"[٤٦].قال ابن عبد البر ::"وفيه بيان ما عليه أكثر الناس من حنينهم إلى أوطانهم، وتلهفهم على فراق بلدانهم، التي كان مولدهم بها، ومنشؤهم فيها"[٤٧].

(٤٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٥٣/١ .

(٤٣) انظر: مطالع البدور في منازل السرور، البهائي الغزولي ، دار الفكر العربي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ: ٢٩٢/٢.

(٤٤) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم السهيلي، تحقيق: مجدي الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى،١٩٩٧ م: ٢٣/٢ .

(٤٥) يتخبر: يسأل . انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ٢٢٧/٤. مادة (خبر).

(٤٦) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ٤٢٠/٢.رقم الحديث: ٩٤٨.

(٤٧) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م: ٤٥٠/٣.

إن حب الخير للوطن والحرص على رقيّه ونمائه دليل واضح على الحرص على الوحدة الوطنية، وشاهد ذلك ما جاء في السنة النبوية أن الرسول دعا بالخير والأمن والازدهار للمدينة حين سكنها، فقال ﷺ:" اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ "(٤٨) ، وقال ﷺ:" اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ " (٤٩) ، وذلك لأن المدينة هي التي احتضنت الدعوة الإسلامية، واستقبلت الرسول ﷺ؛ ولذلك ظلّ حبُّ مكة في قلبه ﷺ كما هو لم يتغير، وحنينه إليها مستمرًا، فكان من حقّها أن يكون حبُّها مثل حبِّ مكة أو أشد.

ولشدة حبِّ الرسول ﷺ لمكة وتعلقه بها - ولأن الطبع لا يوافق أن يكون بلد أحبَّ إلى إنسان من بلده الأم - لجأ النبي ﷺ إلى الله في ذلك بالدعاء؛ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء. والذي يظهر - والله أعلم - من دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة، ومحمد ﷺ للمدينة أن السبب ليس لأفضلية البقعة فحسب، وإنما لكون كل منهما دعا لموطنه، وموطن أهله، ومستقر عبادته، كما في دعائه الذي أورده السمهودي : أن النبي ﷺ إذا أقبل

(٤٨) صحيح البخاري، مصدر سابق: ٦٦٦/٢، رقم الحديث: ١٧٨٦ . و صحيح مسلم ، مصدر سابق: ٩٩٤/٢ ، رقم الحديث: ١٣٦٩ .

(٤٩) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٢ /١٠٠٠، رقم الحديث:١٣٧٣ .

على المدينة قال:" اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنا بِهَا قَرَارًا ورِزْقًا حَسَنًا" (٥٠) ، ولذلك يقول العيني ::" ابتلى الله ﷻ نبيه ﷺ بالهجرة، وفراق الوطن " (٥١).

ومن الدلائل التي تؤكد أهمية حب الوطن ومشروعيته، ثبوت حب الرسول ﷺ لوطنه وتعلقه به وكراهيته الخروج منه، ومن ذلك ما كان حين نزل الوحي على الرسول ﷺ قال له ورقة بن نوفل عن قومه:" لتُكذّبنه، فلم يقل الرسول ﷺ شيئًا، فقال ورقة: ولتُؤذينه، فلم يقل الرسول ﷺ شيئًا، ولم يُظهر انزعاجًا، ولكن حين قال ورقة: ولتُخْرجنّه، ردَّ الرسول ﷺ باستنكار لهذا الأمر بقوله: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم ؟" (٥٢).

وهنا تحركت أحاسيس نفسه ومظاهر حبّه لوطنه، وظهرت أمارات المواطنة، ونوازع فراق الوطن ، ووضُح إلْفه في القلوب. يقول السهيلي :: " في هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس، فإنه قال له: لتكذبنه، فلم يقل شيئًا، ثم قال: ولتؤذينه، فلم يقل له شيئًا، ثم قال: ولتخرجنه ، فقال: أو مُخْرِجِيَّ هُمْ " (٥٣). وقوله ﷺ حين أُخرج من مكة:"ما أطْيَبك من بلد، وأحَبَّك إليَّ، ولولا أنَّ قَومي أخْرَجُوني مِنكِ ما سَكَنتُ غَيْرَك" (٥٤).

(٥٠) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى،الحافظ نور الدين علي بن أحمد السمهودي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ: صفحة ٥٣ .

(٥١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ: ٢٥١/١٠.

(٥٢) تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، زين الدين أبو الفضل العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م: ١٥٨/٤ .

(٥٣) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق:٤١١/١.

(٥٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي، مصدر سابق: ٥ /٧٢٣.رقم الحديث:٣٩٢٦.

ومما جاء في حبِّ النبي ﷺ لوطنه، وحنينه إليه، واستيلاء ذلك على طبعه، واستدعاء أشد الشوق إليه، حين هَمَّ ﷺ بالخروج من وطنه، والهجرة عنه إلى مكان آخر، فيلتفت إلى البيت العتيق، وكله حبٌّ إليه، وحزنٌ عليه، ولوعةٌ من فراقه، قائلاً: " عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ " (٥٥) . وقوله ﷺ: "ما أطْيَبَك مِنْ بَلَدٍ ، ومَا أحبَّك إليَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ " (٥٦).

ومن شواهد ذلك ما رواه أنس ا أن النبي ﷺ " كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا " (٥٧).

أي: أسرع السير ، قال بعض الشُّراح: " إن ذلك من حُبِّه لها" وزاد آخرون: " إنَّ في الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حبِّ الوطن والحنين إليه" (٥٨).

وقال ابن بطّال::" (من حبِّها) يعنى: لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حبِّ الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك ﷺ وفيه أكرم الأسوة، وأمر أمته بسرعة الرجوع إلى أهلهم عند انقضاء أسفارهم" و" وتعجيل سيره ﷺ إذا نظر إليها من أجل أن قرب الديار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن وفي رسول الله ﷺ

(٥٥) مسند أحمد، مصدر سابق: ٣٠٥/٤. رقم الحديث: ١٨٧٣٩.

(٥٦) سنن الترمذي، مصدر سابق: ٧٢٣/٥.رقم الحديث: ٣٩٢٦.

(٥٧) مسند أحمد ، مصدر سابق: ٧٣/٢٠.رقم الحديث: ١٢٦٢٣.

(٥٨) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ١٣٥/١٠، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ:٤٠٢/٩ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق :٦٢١/٣ .

الأسوة الحسنة " (٥٩). ولعل لفظ (كان) في الحديث يدل على تكرار هذا الفعل من الرسول ﷺ وذلك استجابة لفطرة المواطنة الصحيحة في الإنسان.

وشبيه ذلك ما جاء عن أبي حميد ا قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم أقْبلنا، حتى قدمنا وادي القرَى، فقال رسول الله ﷺ:"إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ" ، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: "هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ " (٦٠). والإسراع في الحديث كناية عن الشوق إلى المكان والحنين إليه، وفي الحديث ثُبوت حبِّ النبي ﷺ لبعض الأماكن. قال ابن حجر ::" قيل: هو على الحقيقة ولا مانع من وقوع مثل ذلك بأن يخلق الله المحبة في بعض الجمادات، وقيل: هو على المجاز، والمراد: أهل أحد على حد قوله تعالى: ژگ گ ...ژ" (٦١).

ولأن الخروج من الوطن يترك في النفس اضطرابًا ووحشة، ويُظهر صدق المواطنة فقد مرض بعض الصحابة حينما هاجروا إلى المدينة، ومع ذلك ظهرت مواطنتهم، ولم يغفلوا تذكر وطنهم والحنين إليه في مرضهم، تقول عائشة ل: " لما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وُعِكَ أبو بكر وبلال ب قالت: فدخلت عليهما. فقلت: يا أبت: كيف تجدك ؟، ويا بلال: كيف تجدك ؟. قالت: فكان أبو بكر ا إذا أخذته الحمَّى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ والمَوتُ أدْنى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

(٥٩) شرح صحيح البخاري، ابن بطال علي بن خلف ، دار الفكر العربي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ : ٣٥/٨، ٥٥٥/٤.

(٦٠) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٢ /١٠١١، رقم الحديث:١٣٩٢ .

(٦١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٨٧/٦ .

وكان بلال ا إذا أقلعت عنه الحمَّى يرفع عقيرته[٦٢] ويقول:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَـلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِوادٍ وحَوْلِي إِذْخِـرٌ وجَلِـيْلُ؟

وهَل أَرِدَنْ يَـوْمًا مِيـاهَ مَجنَّةٍ؟ وهَل يَبْدون لِي شَامَةٌ وطَفِيْلُ؟ [٦٣]

ويقول: "اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء".تقول عائشة ب فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ... الحديث"[٦٤].

فبلال ا على ما أصابه من المرض يتذكر وطنه مكة، ويتمنى العودة إليها، وأن يَبِيْتَ فيها ليلة، أو يذهب يومًا إلى بعض أماكنها، وهذا فرع عن حبه لها، ثم يتذكر من كان السبب في هذه الغربة والخروج من الوطن، فيذكرهم بأسمائهم مصحوبين باللعنة والتَّقبيح، يقول ابن حجر ::" وقوله : "كما أخرجونا " أي : أخرجهم من رحمتك، كما أخرجونا من وطننا " [٦٥]. وفي آخر الحديث إقرار من الرسول ﷺ بهذا الحب فلم ينكر على بلال ا قوة انتمائه، بل دعا أن يحبب إليهم المدينة كحبهم لمكة، أو أشد حبًّا من مكة، ودعاؤه بإيجاد هذا الحب دليل على مشروعيته والرغبة فيه. قال السمهودي ::" إن معنى

(٦٢) عقيرته: صوته. انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ٤/٥٩٣.مادة (عقر).

(٦٣) شامة: حشيش طيب الرائحة أطول من الثيل. انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ٤/٣٠٣.مادة (شام). جليل: نبت ضعيف يستعمل في البيوت. انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ١١/١٢٠ . مادة (ذخر). جليل وطفيل: مواضع بمكة.انظر: معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ: ٣/٣١٥ ، ٤/٣٧ .

(٦٤) صحيح البخاري، مصدر سابق : ٢/٦٦٧. رقم الحديث: ١٧٩٠.

(٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٧/٢٦٣.

كلمة "أو أشد" أي: بل أشد... وقد صح عنه ﷺ في محبة المدينة ما لم يرد مثله في مكة... وقد تكرر ﷺ دعاؤه بتحبيب المدينة إليه" [٦٦].

وفي موقف آخر، يدعو الرسول ﷺ ربَّه أن يوَفِّيَ أصحابه ي هجرتهم، وألا يردَّهم على أعقابهم، حين قال ﷺ: " اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ" [٦٧]. وقد علَّق ابن خلدون : على ذلك بقوله: "أن يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها، فلا يرجعهم عن هجرتهم التي ابتدؤوا بها" [٦٨]. وقال ابن عبد البر : : "لئلا يتذرع أحدٌ بالمرض لأجل حُبِّ الوطن" [٦٩].

وتبعًا لما سبق أكد النظام الأساسي للحكم في المملكة أهمية الوحدة والجماعة وترك الفرقة والخلاف والانقسام والفتن التي تضرّ المجتمع ولا تفيده بأي حال من الأحوال، وهذا ما نصَّتْ عليه المادة التاسعة: "الأسرة هي نواة المجتمع السعودي ، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، واحترام النظام، وتنفيذه، وحب الوطن، والاعتزاز به وبتاريخه المجيد" .

(٦٦) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مصدر سابق: صفحة ٥٢، ٥٣.

(٦٧) صحيح البخاري، مصدر سابق: ١/٤٣٥. رقم الحديث:١٢٣٣. وصحيح مسلم، مصدر سابق: ٣/١٢٥١. رقم الحديث:١٦٢٨ .

(٦٨) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، دار القلم ، بيروت، الطبعة الخامسة،١٩٨٤م: ١/ ٢١٧ .

(٦٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ٥/٣٦٨ .

والمادة العاشرة: "تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية، ورعاية جميع أفرادها، وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم" .

والمادة الحادية عشرة :" يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله، وتعاونهم على البر والتقوى، والتكافل فيما بينهم ، وعدم تفرقهم" .

والمادة الثانية عشرة: "تعزيز الوحدة الوطنية واجب ، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام"(٧٠).

وعليه أخلص من هذا لأصل إلى حقيقة أن حبَّ المسلم لوطنه منبعث من إيمانه بأنَّ أكثر الشعائر الدينية لا تتمُّ إلا بجماعة، والجماعة لا تتمُّ إلا بإمارة، والإمارة لا تقوم إلا على وطن.

(٧٠) المواد من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم أ / ٩٠ وتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤١٢هـ .وانظر: الأنظمة السعودية الأساسية، إعداد الوكالة الأهليّة للإعلام " نبراس "،مطابع العصر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: صفحة ١٤ ، ١٥.

المبحث الثالث

آثار الوحدة الوطنية وإيجابياتها

تمهيد:

تعد الوحدة الوطنية ركيزة من ركائز هذا الوطن وأساس من أسس تطوره وتقدمه ودليلاً قاطعاً على تلاحم هذا الشعب مع قيادته. إذ تظهر لنا الوحدة الوطنية قصة التلاحم بين أبناء هذا المجتمع من تاريخ آبائنا وأجدادنا إلى يومنا هذا .

والوحدة بطبيعتها احتياج أساس للإنسان، ولاسيما في فترة الشباب، التي تتكون فيها ملامح شخصيته، وتتحدد توجهاته المستقبلية، وهو أحد الحاجات النفسية الأساس، التي بدونها لا تستقيم النفس، ولا يسعد الإنسان، ولا يهنأ العيش، فكما يحتاج الإنسان نفسيًّا إلى الأمن، والحب، والتقدير، والنجاح، يحتاج إلى المواطنة والوحدة؛ لأنه يشبع هذه الحاجات.

ومنبع الوحدة الوطنية هو التفاعل والتعاون مع الآخرين أخذًا وعطاءً، وتضحية وعملا، وبخاصة كلما زاد عطاؤه عن أخذه.. والإنسان الواعي بذاته وبالآخر تكون مواطنته صادقة، وعلاقته بوطنه إيجابية وحسنة وفعالة،ولا يتحقق ذلك على المستوى الفعلي، إلا من خلال الالتزام الجاد من قبل كل مواطن أن يؤدي دوره، ويتحمل مسئوليته، ويسعى بكل إمكاناته، من أجل خدمة دينه، ثم الرقي بوطنه.(٢)

(٢) الشباب والانتماء إلى الوطن، بدر بن علي العبد القادر، المركز الوطني لأبحاث الشباب، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.: صفحة ٧٩.

أولاً: الآثار الإيجابية للوحدة الوطنية.

لا شك أن الوحدة الوطنية الصادقة تحقق للفرد مكاسب دينية ودنيوية كثيرة، ومنها:

١- آثار عَقَدِيَّة:

- تحقيق التوحيد لله ﷻ.
- الاتصال بالكتاب والسنة قولا وعملا، واتباعهما، والأخذ بأوامرهما، وترك نواهيهما، والسير على الوسطية التي دعا إليها الإسلام، وتجنب المسالك المنحرفة التي تؤدي إلى الغلو والتطرف، وتقود إلى الإفراط والتفريط.
- إعلاء كلمة الله في أرجاء الوطن.
- الابتعاد عن الغلو الذي يؤدي إلى كثير من الأمور السلبية، ويقود إلى ابتداع شيء في الدين ليس فيه، ويحرم النفس لذة العمل، وأنس التضحية.
- تقديم واجب السمع والطاعة لولاة الأمر، وحفظ حقوقهم، والذب عنهم، وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم.
- احترام العلماء، وتقديرهم، والأخذ عنهم، وعدم سبهم، أو التنقص من قدرهم، أو التقليل من شأنهم، والقدح فيهم، أو العزوف عنهم.
- لزوم جماعة المسلمين، والأخذ بمنهج أهل السنة والجماعة.
- القيام بالواجبات بأمانة وإخلاص، وبذل الجهود الممكنة في خدمة الدين ثم الوطن.
- تربية أبناء الوطن على تقدير خيرات الوطن ومعطياته، والمحافظة على مرافقه ومُكتسباته التي من حق الجميع أن ينعُم بها، وأن يتمتع بحظه منها

كاملاً غير منقوص وتربيتهم على استشعار ما للوطن من فضل عليهم، ومن ثَمَّ تربيتهم على رد الجميل له، ومجازاة الإحسان بالإحسان.[٣]

- العمل على تحصين المجتمع وحمايته من الأفكار الضالة والهدامة التي تهدد وحدة البلاد، وتحصين الشباب خاصة، وكافة فئات المجتمع بشكل عام، ضد مختلف النزعات الفكرية الخارجة على صحيح الدين الإسلامي، والمناوئة لقيم وتقاليد المجتمع السعودي.[٤]

٢- آثار فكرية:

- الاعتراف بفضل الوطن والوفاء له، والافتخار به، والعمل على رقيه، وهو متروك لإمكانات الشخص وقدراته ومؤهلاته، وهذا يتيح تكاملا في العطاء، والإسهام بما يخدمه ويترتب عليه صلاحه ونموه وتقدمه .
- تكثيف الوعي لزيادة قوة العلاقات الاجتماعية وتماسكها بين أبناء الوطن؛ لتقديم كل ما من شأنه رفع مستوى الأداء العام، وارتقاء جميع نظم الدولة وتطورها.
- المحافظة على أمن الوطن بالقول و العمل، وهذا واجب كل فرد، والواجب على الشباب ترسيخ ذلك في أذهانهم، واستشعاره للتصدي لكل أمر يترتب عليه الإخلال بأمن وسلامة الوطن ، والعمل على رد ذلك بمختلف الوسائل والإمكانات الممكنة والمُتاحة .

---

(٣) انظر: الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٨٠- ٨٤.

(٤) مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، د. إبراهيم بن عبدالله المطرف، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد (١٥١٦٣) يوم الثلاثاء، ١٢، المحرم، ١٤٣١هـ: صفحة ٢١.

- زيادة دافعية الأفراد في التعلم والأداء، لخدمة الدين ثم الوطن، ونشر الخير في أرجائه، وهذا رد جزء من دين الوطن على أبنائه.
- التشبع بالحس الوطني، وغرس حب الانتماء الإيجابي للوطن ، وتوضيح معنى ذلك الحب ، وبيان كيفيته المُثلى من خلال مختلف المؤسسات التربوية في المجتمع، كالبيت، والمدرسة، والمسجد، والنادي، ومكان العمل ، وعبر وسائل الإعلام المختلفة مقروءةً، أو مسموعةً، أو مرئية.
- الحوار، والنقاش، وترك العنف. فالمواطنة الصادقة تتحقق بالحوار، والنقاش الهادئ، والطرح الموضوعي، الذي يحل كثيرًا من الخلافات، ويقود إلى الاحترام والتضحية، أما العنف فلا يحق حقًّا، ولا يحل مشكلة، والفوضى تزيد الأمور تعقيدًا، والأمن خطرًا، ولذلك قال النبي ﷺ :" إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ "(٥).
- استشعار قيمة الوطن بين دول العالم، وتقدير مسؤولياته العالمية، والوعي بدوره التاريخي قديمًا وحديثًا، والارتباط بقادته، والانحياز إليهم في مواجهة الفتن، والنأي بالوطن عن السقوط في شرك الاستدراج، ومكائد التربص.(٦)
- الإسهام في الجهود التي تهدف إلى حماية المجتمع وأفراده من حملات الغزو الثقافي والفكري التي تسعى إلى إضعاف مناعته الفكرية والثقافية والنيل من مكانة الوطن وموقعه الإقليمي والدولي المحوري.

(٥) صحيح مسلم، مصدر سابق: ٢٢/٨. رقم الحديث: ٦٧٦٦.

(٦) انظر: الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٨٦- ٨٨.

- تعزيز روح المواطنة وتأكيد الهوية الوطنية ومواجهة نزعات الانتماء الفرعي الضيق الذي يؤدي إلى التعصب والانغلاق، وإلى إضعاف روح الانتماء الوطني.
- تعزيز روح الولاء للقيادة السياسية لدى الجماعات والأفراد، خاصة الشباب السعودي، وحشد وتعبئة الموارد الفكرية والثقافية والطاقات الشبابية، تفعيلاً لهذا التوجه الوطني. (٧)

٣- آثار نفسية:

لاشك أن صدق المواطنة حينما يسود حياتنا، يفيض علينا بإيجابيات كثيرة منها:

- الاستقرار النفسي، لأن المواطنة احتياج نفسي، ضمن الاحتياجات النفسية المختلفة، فالإنسان المنتمى يكون مستقرًا من الناحية النفسية، لا يحس بالاغتراب والانطواء، ولا يقلق من المشكلات، ولا يتسخط ولا يتشكى.
- إحساس الفرد بدوره في المجتمع، فالمواطنة فرصة للمشاركة الإيجابية مع الآخرين، والقيام بدور ما في الحياة، فالإنسان المواطن مشغول بتطوير نفسه وذاته، ويجتهد أن يعمل شيئًا، لخدمة دينه، ووطنه، وإبراز انتمائه، وبذا يحس بمعنى الحياة، وأن له دورًا يقوم به، ورأيًا يستعان فيه.
- توافر الوحدة الاجتماعية التي يستحيل أن تبنى على أسس راسخة بغير مواطنة، والبعد عن إثارة النعرات والضغائن والقبليات، فالمواطنة تعطي الفرد إحساسًا بالحب للوطن، ولكل مؤسساته، ورجالاته، وطموحاته،

(٧) مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، مرجع سابق: صفحة ٢١.

ويشعره بمسؤوليته نحو وطنه، ولذا يسعى إلى نشر الحب والخير في كل مكان وزمان.

- الإحساس بالوطن والغيرة على ترابه وممتلكاته ومؤسساته، والتفاني في منظومة الأداء العام، والانسجام داخل النسق الاجتماعي السائد الذي ارتضاه الجميع، وزيادة الثقة بالنفس في قدرات الآخرين، والسعي الجاد معهم في العمل التنموي الطموح.
- زيادة دافعية الأفراد في التعلم والأداء، لرقي الوطن ونموه، أما من تقل لديهم المواطنة أو تنعدم فتجدهم يبتعدون عن كل أمر يربطهم بوطنهم، ويقوي علاقتهم به.
- تجسيد الشكر والعرفان في الواقع، لكل من أسهم في بناء هذا الوطن ورقيه، وذلك بحفظ الحقوق، والمحافظة على الممتلكات، وتقديم العون والمساعدة للآخرين.
- شعور الإنسان بقيمة النعمة، ولذة العيش، وطعم الصحة التي يتمتع بها في وطنه الآمن، والعمل على أن تكون حياة الإنسان بخاصة والمجتمع بعامة كريمةً على أرض الوطن، ولا يتحقق ذلك إلا بعد أن يُدرك كل فردٍ فيه ما عليه من الواجبات فيقوم بها خير قيام .[٨]
- حبُّ الآخرين، والتعايش معهم، فالشعب السعودي مشهود له بالخير، ومعروف بسلوكاته المعتدلة، وبحبه للآخرين والوقوف معهم ومساعدتهم، وهذا مما حثَّ عليه الدين الإسلامي، فليس مع عقيدة المسلم استباحة دماء

(٨) انظر: الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٨٦- ٨٨.

الآخرين، أو قتال المسالمين، والإسلام دين عدالة وسماحة وإكرام للبشر أجمعين.

- تغليب روح الانتماء للوطن على الروح القبلية، والعمل على إشاعة ثقافة الانتماء وإلغاء النعرات القبلية والطائفية والمذهبية وتأكيد خطورتها على الوحدة الوطنية، وتهديدها للنسيج الاجتماعي للبلاد.
- تعميق عوامل الهوية الوطنية ضد الانتماءات الفرعية التي تؤدي إلى إضعاف الولاء الوطني، لمصلحة تكتلات فئوية وقبلية هامشية وضيقة.[٩]

٤- آثار اجتماعية:

- الوقوف مع ولاة الأمر وإعطاؤهم حقهم من السمع والطاعة والتقدير، ومشاركتهم في جهودهم لخدمة الدين، ورقي الوطن ونموه، وهذا الانسجام بين ولي الأمر والمواطن يكوِّن درعًا لحماية الوطن والذود عنه أمام تيارات الضلال، ومحاولات الأعداء في إضعاف مواطنتنا وحبنا لوطننا.
- الحرص على مد جسور المحبة والمودة بين أبناء الوطن، لإيجاد جوٍ من التكاتف والاجتماع، والتآلف والتآخي والتآزر، والبعد عن أسباب الفرقة والاختلاف، والحرص على اجتماع الكلمة للصمود في مواجهة الظروف المختلفة، والتحذير من التخريب والإفساد بمقدرات الوطن.
- دعم عملية بناء الشخصية المتوازنة والمتكاملة للإنسان السعودي، رجلاً وامرأة، مع الاهتمام بتنشئة الشباب والفتيات، باعتبارهم المكون الرئيس والأساس لمستقبل الوطن.

(٩) مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، مرجع سابق: صفحة ٢١.

- التعاون مع كافة مؤسسات المجتمع المدني على نشر ثقافة التسامح الديني، ومناقشة الآخرين بوسطية واحترام وَفق المنهج الإسلامي.
- التعاون مع كافة المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، من أجل تعزيز مبدأ المشاركة المجتمعية، ودورها في تعميق وترسيخ ثقافة المواطنة.[١٠]

٥- آثار سلوكية:

- الترشيد في استخدام كل النعم والثروات التي يزخر بها الوطن، والابتعاد عن مظاهر الاستهلاك المحظور، والترف الزائد، والمحافظة على ممتلكاته، كموارد المياه، والطرقات والمباني، والأشجار، والمصانع وعوامل بنائه ورخائه وغيرها، وتتجلى المواطنة واضحة في علاقتنا مع هذه الممتلكات، التي ينبغي أن تكون علاقة الحفظ والاهتمام بها، لأنها لنا جميعا ومؤشر من مؤشرات حرصنا على نعم الوطن وإمكاناته. لذا يجب الابتعاد عن كل سلوك لا يحفظ ممتلكات الوطن أو يعرضها للتلف والضياع؛ لأنها لنفعنا ونفع الأجيال القادمة من بعدنا.
- المواطنة تتجسد في العمل الجاد والسعي الحثيث من الجميع لتطوير الوطن في كل المرافق والمجالات، والعمل على تعظيم جانب الإنتاج الوطني ونموه؛ ليتطور المجتمع ويتقدم بين المجتمعات الأخرى.
- التفاني في أداء الواجبات المطلوبة منه قبل المطالبة بالحقوق، وهذا يؤدي إلى حسن الأداء، والإخلاص في العطاء، ومتى ما قاموا بذلك لن يستطيع الأعداء مس بلادنا بسوء.

(١٠) انظر: مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، مرجع سابق: صفحة ٢١.

- الإسهام الفاعل والإيجابي في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته سواءٌ كان ذلك الإسهام قوليًّا أو عمليًّا أو فكريًّا ، وفي أي مجالٍ أو ميدان ؛ لأن ذلك واجب الجميع ؛ وهو أمرٌ يعود عليهم بالنفع والفائدة على المستوى الفردي والاجتماعي، مع إعطاء أبناء الوطن على مستوى الأفراد والجماعات الفرصة للإسهام في ذلك باستخدام البرامج المتنوعة، والمناشط المختلفة .[١١]
- تشجيع المرأة على المشاركة المجتمعية تقديراً لدورها في بناء المجتمع وتجديداً لمكانة المرأة وموقعها في الإسلام، وحرصًا على الاستفادة بإمكاناتها وقدراتها، باعتبارها تشكل نصف المجتمع.[١٢]
- "الحرص على سلامة الوطن بدءًا من استشعار الواجب تجاه الوطن في الحفاظ على أمنه، والدفاع عنه والحرص على سمعته، واستشعار المسؤولية العظمى في الحفاظ على ثوابته". [١٣]
- إعلاء قيمة حب الوطن باعتباره الدائرة الأكبر والأوسع والأشمل والأولى والأعلى من الانتماءات خارجة، وتقوية مشاعر المواطنة للوطن لدى كافة فئات المجتمع.
- تشجيع البحوث، والدراسات، والنشاطات التي تهتم بفكرة المواطنة وتطويرها، والعمل على نشر هذه الدراسات والبحوث والاهتمام

(١١) انظر: الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٨٨- ٩٠.

(١٢) مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، مرجع سابق: صفحة ٢١.

(١٣) الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٩٠.

بتوصياتها تفعيلاً لتأثيرها، ونقلها من مجال الفكر والنظريات إلى أرض الواقع، خاصة في مجالي الأمن الفكري والوحدة الوطنية.

- الإسهام بدور فاعل ومؤثر في التنمية الثقافية، وتحويل مفهوم التنمية الثقافية إلى واقع عملي وتطبيقي يخدم قضايا الأمن الفكري والوحدة الوطنية، ويعزز عملية المواطنة.
- نشر ثقافة المواطنة بين أفراد المجتمع، ليس كبديل للأفكار المتطرفة أو المنحرفة فحسب، بل كتيار رئيس وعام لمجرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع.
- العمل على نشر ثقافة الحوار واحترام الآخر وترسيخ مبدأ حق الاختلاف في الرأي، انطلاقًا من القيم والمبادئ الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، التي تعلي من هذه الثقافة باعتبارها الضمانة لعدم إفراز أجيال من الشباب فاقدي الهوية الذين تعبث الفئات الضالة بعقولهم، والضمانة لحماية الشباب من التعصب وأحادية الرأي وهما أهم المداخل الحقيقية لصناعة الإرهاب.(١٤)

ثانيًا: الآثار السلبية لانعدام الوحدة الوطنية.

الوحدة الوطنية بصفتها الطبيعية تنمو مع الطفل منذ صغره، ويكتسبها ذاتيًا من خلال سلوكه وممارساته، فالمواطنة جُبلت عليها النفوس وهي باقية وموجودة، لأنها وعي قيمي وسلوك عملي، لذا فإن من الجور الصريح، والظلم الواضح أن يُتهم الوطن بظلم بنيه؛ لأنه لا يمكن أن يقسو عليهم، أو يغمطهم

(١٤) انظر: مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، مرجع سابق: صفحة ٢١.

حقوقهم لارتباط وجوده بوجودهم، كما أن عناصر قوته وهيبته مرهونة براحتهم واستقرارهم.

لذلك من النعم الكُبرى على الإنسان أن يُمنح القدرة على إدراك الأمور على وجهها الصحيح ؛ ليفهم غامضها، ويدرك أوامرها، ويفسر صعبها؛ ولذلك تجده يعيش في كرامة وراحة واطمئنان، لأنه التزم المنهج الإسلامي الوسطي الصحيح.

فأمتنا الإسلامية لا تشكو من قلة العدد -ولله الحمد والمنة-ولكنها تشكو من قلة الجادين في تعلمهم، والعاملين بعلمهم، والمخلصين لأنفسهم .

فالشباب هم عماد بناء الأمة، والدم المجدد لحياتها، والامتداد الطبيعي لتاريخها، وهم ضمان حياتها، واستمرار وجودها، وامتداد صحوتها، ومسيرة تاريخها، وهم من يرثها، ويحفظ مآثرها، وينقلون تاريخها إلى من بعدهم من الأجيال، لذا فهم أمل الأمة متى ما اتصلوا بالله تدينًا، وبدينهم تخلقًا .

أما المتخاذلون، والمتآمرون، والمثبطون، والمتأخرون عن ركب الوطن فهم أعداء أنفسهم، وخُصماء عقولهم،لأنهم لا يعرفون حقًّا، ولا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً.

فإذا انقطع الشباب عن دينهم فإنهم يجهلون نصوصه، وينسون تعاليمه، ويهملون واجباته، ويغفلون عن تعاليمه، ويرتكبون نواهيه، فيعيشون في ظلمات الجهل، ويرتكبون ما يخالف الدين وتعاليمه .

وحين يُغفل الشباب رسالتهم السامية يضلون الطريق، وحين يركبون عقلهم يضيعون في متاهات الحياة، وحين يُغلّبون العاطفة يتنكّرون لوطنهم، وحين يهملون الحكمة يظلمون أنفسهم.

- الطعن في ولاة الأمر، والتعرض لهم، وإبراز عيوبهم ونسيان حسناتهم وفضلهم، وتجنب طاعتهم .
- هجر منهج السلف الصالح، وسبّ العلماء وذمهم، والدعوة إلى هجرهم ومقاطعتهم، وعدم الأخذ منهم،والطعن في علمهم، والتشكيك في مذهبهم، وإبعاد الشباب عنهم، وهم الدرع الحصين الواقي للشباب بعد الله من الوقوع في المهلكات.

١- آثار فكرية:

- ضعف الثقة في قدرات الآخرين، والبعد عن المشاركة، والميل إلى الراحة والتخاذل.
- التأثر بالأفكار المنحرفة، والدعوات الهدامة، والمناهج الدخيلة المضللة.
- التقليد الأعمى للسلبيين في أدوارهم الهامشية في الحياة.
- عدم الشعور بأهمية بناء الذات والتكليف الشرعي لها.
- ضعف الكفاءات العلمية، وظهور الجهل، واضطراب السلوك.

٢- آثار نفسية:

- الاغتراب الداخلي لدى الفرد، فيبحث عن العزلة، ويتجنب الناس، ويعيش منطويًا على نفسه، فتظهر الهزيمة النفسية الداخلية لدى الفرد، فيقل لديه العطاء، ويختفي عنده العمل، فيكون عالة على مجتمعه.
- فقدان الهوية، والشعور بالاغتراب الروحي، وضعف الهمة فلا وطن يعمل من أجله، ولا دين يدافع عنه.
- انعدام دافعية الأفراد نحو التعلم والعمل، فتنتشر الأمية، وتنمو البطالة، وتكثر المشكلات .

- ضعف العلاقة الإيجابية مع الوطن، وإهمال مصالح أبنائه، وعدم المبادرة إلى تقديره والغيرة عليه.
- عدم الشعور بأهمية بناء الذات والتكليف الشرعي لها

٣- آثار اجتماعية:

- شعور الفرد بالظلم الاجتماعي، وعدم حصوله على حقوقه المشروعية، فيتواكل، ويقل عطاؤه.
- الضعف الواضح في الجانب الأسري، وتخلي الأسرة عن واجباتها، وتغليب المصلحة الخاصة، وظهور الأنانية الفردية، ونشوء النزعة الذاتية، فيبحث الفرد عن مصالحة الشخصية على حساب الآخرين، وبذا تكون الأسرة سلبية، وغير نافعة، فتكثر مشكلاتها، وتقل خيراتها.
- النزاع بين أفراد المجتمع، وتفكك العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وضعف التماسك الاجتماعي، ونشوب الصراع والتعصب المرفوض.
- ثقل الأعباء على كاهل أجهزة الدولة، وتزايد المشكلات الاجتماعية والمعيشية.
- ضعف الأداء العام للأفراد،وانتشار البطالة، مما يضر بمصالح الوطن، ويؤخر نموه وتطوره.
- انعدام الأمن، وتعطل المصالح، وظهور المشكلات، و تنوع الفتن ، وازدياد المضلات، وتراجع خطط التنمية .
- جمود النظم الاجتماعية والإدارية، وظهور الفوضى والاضطرابات المسيئة للوطن، والمضرة بالمواطن.

٤- آثار سلوكية:

- ممارسة الأعمال التخريبية من سفك الدماء، وتدمير المنشآت، وإهدار الأموال والثروات، وإهمال ممتلكات الوطن ومرافقه،ونشر الرعب والفزع والخوف في المواطنين، وهذا الأمر مناف لما يدعو إليه الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].. وقال الرسول ﷺ : "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا" (١٦) . والشريعة الإسلامية جاءت بجلب المصالح ودفع المضار .
- تجاهل مصالح الآخرين، وغياب مبدأ التكافل والإيثار.
- أولوية المصلحة الشخصية، والمطالبة بالحقوق، وإهمال الواجبات.
- رفض المشاركة الاجتماعية، والبعد عن التعاون بين مؤسسات المجتمع، والإنسان الذي يفكر بالأخذ من ثروات الوطن، واستنزاف إمكاناته دون أن يقدم لوطنه أي عمل وأي مقابل، يخل بمفهوم الانتماء إلى الوطن .
- عدم وجود القدوة المتبعة، مما يدفع إلى تبني قدوات من الثقافات المستوردة.
- جمود النظم التعليمية وضعفها، وإهمال التقيد بتعليماتها. (١٧)

(١٦) صحيح البخاري، مصدر سابق : ١/ ١٢٩ . رقم الحديث :٧٦ . و صحيح مسلم ، مصدر سابق : ٢٦٧/١١ . رقم الحديث :٤٤٧٧.

(١٧) انظر: الشباب والانتماء إلى الوطن، مرجع سابق: صفحة ٩١- ٩٥. وانظر: الوطنية في التشريع الإسلامي، بدر بن علي العبد القادر، مطبعة النرجس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.: صفحة ٤٩، ٥٣.

ختامًا: إن أهم مرحلة لبناء المواطن الصالح، وتعميق المواطنة الفاعلة في نفسه هي مرحلة الطفولة والنشوء التي تجعل الشخص يعيش المواطنة فكرةً ووجداناً، ويشعر أنها الأصل بالنسبة إليه، وأن قيمتهم وعزهم يكون بالتضحية فضلاً عن بذل الطاقة لخدمة الدين والوطن وبخاصة أننا:" بتنا نواجه تحديًا وطنيًا يستوجب منا مراجعة أدوارنا ومسؤولياتنا المطلوبة منا تجاه وطننا، وأن نحاسب كل من يقصر في أداء دوره، أو يتقاعس في القيام بمهمته، فنحن في سفينة وطنية واحدة، وأي خرق في تلك السفينة، أو تقاعس في حمايتها، سيؤدي إلى خسارة الجميع.

ويجب أن نذكّر أبناءنا وبناتنا بالمسؤوليات والواجبات المترتبة على العمل بمفاهيم الوطنية والمواطنة، وأن نبين لهم أن الدرع الواقي -بإذن الله- لحماية هذا الوطن ومكتسباته هم رجاله وشبابه وبناته، وأنه إن تقاعس أبناء الوطن، ولم يقوموا بواجباتهم، أو لم يتحملوا مسؤولياتهم فإنهم سيكونون أول الخاسرين - لا قدر الله- فما الوطن إلا بشبابه، وما قوته إلا بقوتهم، ولا رقيه إلا برقيهم"(١٨).

(١٨) قراءة في مفاهيم الوطنية والمواطنة والإرهاب،مرجع سابق:صفحة ٢٢ .

الخاتمة

لقد حاولت من خلال هذا البحث الذي بلغ نهايته الكشف عن حقيقة الوحدة الوطنية في الشريعة الإسلامية فظهرت ببعض النتائج، من أبرزها:

- أن مصطلح الوحدة الوطنية مصطلح جديد أُستحدث في العصور المتأخرة، و لم يكن له ذكر في العصور المتقدمة.
- أن للوحدة الوطنية أصلاً في التشريع الإسلامي، وقد سبق القوانين الوضعية، والأنظمة المُشرَّعة.
- أن الإسلام دعا إلى الوحدة الوطنية وحث على الاتصاف بها، وإن لم يكن ذلك بالنص الصريح، بل دعوته إلى ممارسات وسلوكات تدل عليها، بشرط أن تكون تحت مظلته ووفق تعاليمه، لأن الغلو في المواطنة يفسد على الناس دينهم وخلقهم وأمنهم وعيشهم، ويحيلهم إلى فئات وأحزاب تتضاغن وتتقاتل ويسعى بعضها إلى هلاك البعض.
- كذلك وجدت أن حب الوطن، والانتماء إليه، والشوق عند فراقه من مظاهر الوحدة الوطنية، وهو أمر طبعي طبع الله عليه نفوس البشر، وقد ثبت حب النبي غ لبعض الأماكن، ولذا أرى أنه من الحق على كل مواطن أن يحب وطنه، وينتمي إليه، وأن يفتخر به ويدافع عنه، ويتفاعل مع مناشطه، ويسهم في بنائه وتقدمه، وأن ذلك من مظاهر الوحدة الوطنية.
- أن من أبرز ثمار الوحدة الوطنية حصول الأمن والأمان، والعيش الرغيد، وازدهار الوطن وتقدمه.
- والحق أن المواطنة الحقَّة تعني العاطفة التي تُعبِّر عن ولاء المرء لبلده أيًّا كان، أما البلد المسلم فلا بد أن يكون ولاء المرء المسلم لبلده من أجل كلمة

التوحيد الظاهرة، وشرائع الدين المطبقة، وذلك يتطلب قيام الفرد المسلم بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام، حتى تحصل الوحدة الوطنية، ويُقطع الطريق على أعداء الدين.

ثَبَتُ المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

-أ-

- الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي ، دون ناشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.
- الإسلام والوحدة الوطنية، محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م.
- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، عبد الله مبروك النجار ، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
- أنوار التنزيل و أسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، أبو سعيد عبد الله البيضاوي،طبعه ألمانيا، ١٨٤٧م.
- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، علي نفيع العلياني ، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- أيديولوجية الصراع السياسي، عبد الرحمن خليفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

-ب-

- البحر المحيط (تفسير أبي حيان) ، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض،وشارك في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

-ت-

- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، دار القلم ، بيروت، الطبعة الخامسة،١٩٨٤م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٤٠١ هـ.
- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، زين الدين أبو الفضل العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.

، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

-ق-

- قراءة في مفاهيم الوطنية، صالح بن عبد العزيز النصار ،الشركة السعودية للأبحاث والنشر، صحيفة الاقتصادية، الرياض، العدد (٥٤٠٠) يوم الأحد ،تاريخ ١٦ / ٤ / ١٤٢٨ هـ .

-ل-

- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

-م-

- مبدأ المواطنة في المجتمع السعودي، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة، شهر المحرم، ١٤٢٦هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مسند الإمام أحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية،١٤١١ هـ.
- مطالع البدور في منازل السرور، البهائي الغزولي ، دار الفكر العربي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، العراق- الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.
- المواد من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم أ / ٩٠ وتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤١٢هـ .وانظر: الأنظمة السعودية الأساسية، إعداد الوكالة الأهليّة للإعلام " نبراس "،مطابع العصر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- مواطنة فاعلة ومواطنون إيجابيون، د. إبراهيم بن عبدالله المطرف، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد (١٥١٦٣) يوم الثلاثاء، ١٢، المحرم، ١٤٣١هـ.
- الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- موسوعة ثقافة المرحلة الثانية الموجزة، صالح بن عبد الله العييري، مطابع السلمان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

-و-

- الوحدة الوطنية في قبرص، عادل محمد زكى صادق، رسالة دكتواره غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٠م.

- الوحدة الوطنية فى مصر عبر التاريخ، عبد العزيز الرفاعي وحسين عبد الواحد الشاعر، عالم الكتب،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، عبد السلام إبراهيم بغدادي، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.
- الوحدة الوطنية، سليمان بن محمد الطماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- الوحدة الوطنية، سليمان محمد الطماوي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٧٤م.
- الوطن في ضمير الشرفاء، بدر بن علي العبد القادر، مطبعة النرجس، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ.
- الوطنية في التشريع الإسلامي، بدر بن علي العبد القادر، مطبعة النرجس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ،مطابع التقنية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى،الحافظ نور الدين علي بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.